الفصل الأول

أُصول المُصطلحيّات وتطوُّرها

١,١ مَدخَلٌ مُصطلحيٌّ

لقد تعدّدت ـ كالعادة ـ التّسميّاتُ الموضوعة للدّلالة على العلم الذي يبحث في المصطلحات (دراسة التّسميّات والمفاهيم)، فظهر: البحث المصطلحيّ والبحث الاصطلاحيّ، علم المصطلح، علم المصطلحات، المصطلحيّة، المصطلحيّات... الخ. فاختبارُنا تسميّة (المصطلحيّات) يَرجع إلى عددٍ من الأسباب، قبلَ تناوُلِها نُفضِّل التّعرُّض لِوصف بعض تِلك التّسميّات الشّائعة، في العناصِر الآتية:

١,١,١ عِلم المُصطلح:

إنَّ (عِلم المُصطلح) تسميّةٌ تُراثيّةٌ سبق إليها المُحَدِّثون، وهم «العُلماءُ الّذين تلقّوا قواعِدَ رِواية السُّنّة وضوابطَها عن السّلف فَهذّبوها ورتّبوها وجمعوها في مُصنّفاتٍ مُستقلّة سُمِّيت فيما بعد بـ "**عِلم مُصطلح** الحديث". كما يُطلقُ على هذا المُصطلح أيضاً "عِلم الحديث دِرايةً"و "علوم الحديث"و "أصول الحديث"»[1]؛ حتّى أنّه في القديم جرت العادةُ ألاّ ترِد كلِمة (مُصطلح) إلاّ في سيّاقٍ طُرِقَ فيه مَوضوعُ الحديث النّبويّ الشّريف أو مُضافاً إلى كلِمة (الحديث).

ـ نكتفي بالمِثال الآتي مِمّا ضبطناه مِن السّياقات:

---

1 محمود الطحان، تيْسير مُصطلح الحديث، دار رحاب، الجزائر، (د.ت)، ص. ٣٠- ٤٠.

obeikandl.com

«وإنّ مِمّا أهمل المتقدِّمون تدوينَه حتى تحلّى في آخر الزّمان بأحسن زينة علمَ التّفسير الّذي هو **كمصطلح الحديث** فلم يدوِّنه أحدٌ لا في القديم ولا في الحديث حتى جاء شيخُ الإسلام وعمدة الأنام علامة العصر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني رحمه الله تعالى»[1].

بعدَ هذا، وحديثاً صارت تسميّة (**عِلم المُصطلح**) تُسخَّر كمُقابل لـ **(Terminologie)** سيّما عِند الّذين اعتادوا ترجمة العُنصُر أو اللاّحِقة **(-logie)** بـ(عِلم). وما ينتبه إليه المرءُ هو حِرصُ كلّ مَن سوَّغ لِنفسه بأن يضعَ تسميّةً غيْر هذه لِلعِلم القائم بِدراسة المُصطلح أيّاً كان المَجالُ الّذي يَنتمي إليه، على أن يُحضِرَ إلى جانِبه ما يُعزِّزه، كـ (**عِلم المُصطلح**) مرّةً أخرى واضِعاً إيّاه بيْن قوسيْن.

إذْ جاءت هذه التّسمية مثلاً في المعجم المُوحّد إلى جانب تسميّة أخرى وهي (المُصطلحيّة)[2]. وكذلِك جاءت التّسميةُ في مُعجَم مُفردات عِلم المُصطلح على الشّكل الآتي: **عِلم المُصطلح (المُصطلحيّة)**[3].

وما تنطوي عليه هذه التّسمية مِن الجوانِب السّلبيّة باعتِبارها مُركَّبة تُذكِّرنا بما شغل المُشارِكون به في ندوة اللّسانيّات واللُّغة العربيّة المَوسومة بـ: (مَشاكِل وضْع المُصطلحات اللُّغويّة) مِن الخِلافات القائمة بيْن العلماء وكذا بيْن المُستعملين حول الأجدر بالتّبنّي والتّسمية المُلائمة سيّما بيْن (اللّسانيّات) أو (عِلم اللُّغة) أو (عِلم اللّسان)[4].

إلاّ أنّ هذه التّسمية المُركَّبة (علم المُصطلح) شهدت استِعمالاً مُغايراً لَدى ع. س. المسدّي إذ يَجعلها في مُقابل المُصطلح: **(Néologie)** مِن حيْث هي عِلمُ يُعالِج نشوء

---

1 ج. د. السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج.١، دار الفِكر، بيْروت، ١٩٧٩، ص.٠٣.

2 عبد الرّحمن الحاج صالح وآخرون، **المعجم المُوحَّد لِمُصطلحات اللّسانيّات (إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي)**، المُنظَّمة العربيَّة لِلتَّربيَّة والثَّقافة والعُلوم، تونس، ١٩٨٩، المدخل: ٢٨٣٣، ص١٤٤.

3 مُؤسّسة ايزو (ISO)، التّوصية ١٠٨٧، مُعجَم مُفردات عِلم المُصطلح، اللّسان العربيّ، ع٢٢، مكتب تنسيق التّعريب، الرِّباط، ١٩٨٣، ص.٢٠٧.

4 يُنظَر: أحمد مختار عُمر، **التّعدّديّة في المصطلح اللّغويّ: آثارها ووسائل القضاء عليها**، مجلّة كلّية دار العلوم، ع.٢٣، القاهرة، جوان ١٩٩٨، ص. ٧، الهامِش رقم ٢.

المُصطلحات ضِمنَ نسيج اللُّغة[1].

٢,١,١ المُصطلحيّة:

أمّا تسميّة **المُصطلحيّة** فقد استعملها مُحمد الشاوش ومُحمد عجينة في مُقابل **(Nomenclature)** إذ يُورِدانها في صدد ترجمتهما قول فردينان دي سوسير الآتي:

«تُمثّل اللُّغةُ في نَظر بعضهم، إذا أُرجعت إلى مَبدئها الأساسيّ، **مُصطلحيّةً** أيْ قائمة مِن الكلِمات مُوافِقة لِعددٍ مُماثِلٍ مِن الأشياء»[2].

كما وردت هذه التّسمية عند ع. س. المسدّي بمَفهومٍ مُغاير شيْئاً ما عمّا سبق إذ يُضيف إليه مُشيراً في الهامِش إلى أنّها مُقابل **(Terminologie)**، ومُعتبِراً إيّاها عِلماً وذلِك في قوله:

«[...] غيْر أنّ رديفاً يُلامِس هذا الحقل الاختِصاصيّ قد يَبدو مُلابِساً إيّاه، وليْس الأمرُ كما قد يَبدو، ونعني **المُصطلحيّة**. فهذه عِلمٌ يُعنى بحصْر كُشوف الاصطِلاحات بحسْب كلِّ فرْعٍ مَعرفيٍّ فهو لِذلِك عِلمٌ تَصنيفيٌّ تَقريريٌّ يَعتمِد الوَصفَ والإحصاءَ مع سعيٍّ إلى التّحليل التّاريخيّ»[3].

ولِكي يُدقّق في التّمييز بيْن (عِلم المُصطلح) و(مُصطلحيّة العِلم) مثّل الأمرَ بالفرق الكائن بيْن (المعجميّة) و(القاموسيّة)[4]. وهو يضع مِن جانِبٍ آخر في مُقابل **(Nomenclature)** (**ثبت اصطلاحيّ**)[5].

---

1 عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيّات: عربي - فرنسي، فرنسي - عربي (مع مقدّمة في علم المصطلح)، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، ١٩٨٤، ص.٢٢.

2 ف. دي سوسير، دروس في الألسنيَّة العامَّة، تَرجمة مُحمد الشاوش ومُحمد عجينة بإشراف صالح القرمادي، الدَّار العربيَّة لِلكتاب، ١٩٨٥، ص.١٠٩.

3 ع. س. المسدّي، قاموس اللّسانيّات: عربي - فرنسي، فرنسي - عربي (مع مقدّمة في علم المصطلح)..، ص.٢٢.

4 يُنظَر: المرجِع نفسه، ص.٢٢.

5 يُنظَر: المرجِع نفسه، ص.٢٠٠.

ـ واستخدمها عبد القادر الفاسي الفهري وهو يُعلِن:

«[...] إلاّ أنّ التّجربة أثبتت أنّ المُمارسة العفويّة لا تكفي، وأنّ توليد وتوالد المفردات يخضع لمبادئ وقيود نظريّة ومنهجيّة من شأنها أن تكون علماً مستقلاً هو **المصطلحيّة**»[1].

وكذلِك وردت في مقال محمّد حلمي هليل المَوسوم: "**أسُس المُصطلحيّة**"[2].

ونجِدها عِند رشيد بن مالك مُوظَّفةً مرّةً أخرى بمفهوم "قائمة مُصطلحات خاصّة بعِلمٍ مُعيّنٍ" **حيث يقول:**

«سنسعى في هذا البحث إلى دِراسة الأصول اللّسانيّة والشّكلانيّة الّتي انبنت عليها النّظريّة السّيميائيّة (مدرسة باريس) واستمدّت مِنها **مُصطلحيّتها** العِلميّة»[3].

كما عثرنا على استِعمالٍ لَها في دِراسةٍ لـ إبراهيم بن مراد وقد جاءت إلى جانِبها تسمية (عِلم المُصطلح)[4]، وذلِك على غِرار المَعهود في الكِتابات الحديثة النّاقِلة لِلمَفاهيم الجديدة كما رأينا.

غيْر أنّ تسميّة (المُصطلحيّة) كغيْرها مِن التّسميّات المُصاغة بهذه الطّريقة تُعاني مِن مُشكِل التّصريف في الخِطاب. نأخذ على سبيل المِثال عمليّة النّسب، سنستعمِل مُركّباتٍ مِن هذا النّوع: **المَعاني المُصطلحيّة** بنسبة لفظ (المَعنى) إلى لفظ (المُصطلح) وليس المَعاني **الاصطِلاحيّة** بنسبة لفظ (المَعنى) إلى لفظ (الاصطِلاح). فيحدث هناك مُشكِلٌ إذا ما اعتبرْنا تسميّة (المُصطلحيّة) تُطلَق على العِلم وهو تداخُل بيْن صيغة النّسب والصِّيغة الدّالّة على العِلم. ويُسوِّغ الإضافة إلى لفظ (المُصطلح) ما يشترِك في الدّلالة بما أنّ قضيّة الاصطِلاح في اللُّغة سواء أكانت عامّة

---

1 عبد القادر الفاسي الفهري، المصطلح اللّسانيّ: معجم إنجليزيّ - فرنسيّ - عربيّ، (مقدّمة)، اللّسان العربيّ، ع.٢٣، ١٩٨٣، ص.١٤٠.

2 محمد حلمي هليل، أسُس المُصطلحيّة، علامات في النّقد، ج.٨، م.٢، جدّة - السّعوديّة، ١٩٩٣، ص.٢٨٤.

3 رشيد بن مالك، مُقدِّمة في السيميائيّة السّرديّة، سلسلة كُليّة، دار القصبة لِلنّشر، الجزائر، ٢٠٠٠، ص. ٥٠.

4 إبراهيم بن مراد، المَعاجِم العِلميّة العربيّة المُختصَّة ودور الحاسوب، اللُّغة العربيّة، ع.٤، ٢٠٠٠، ص٩٥.

أو مُتخصِّصة أصبحت مِن المَحسوم فيه دالّة على مَفهوم المُواضعة. تأمّل مثلاً هذا الوصف في بعض ما عرّف به الشّريف الجرجانيّ مُصطلح (الحقيقة) مفهوماً:

«وفي **الاصطِلاح**: هي الكلِمة المُستعمَلة فيما وُضِعت لَه في **اصطِلاح** به التّخاطُب. واحتُرِز به عن المَجاز، الّذي استُعمِل فيما وُضِع لَه في اصطِلاحٍ آخر غير اصطِلاح التّخاطُب»[1].

فهناك:

- اصطِلاح ← مُواضعة.
- اصطِلاح ← المَعنى المُصطلحي.

٣,١,١ المُصطلحانيّة والاصطِلاحيّة:

وقد اقتُرِحت تسميّاتٌ غيْر هذه نَذكر مِنها: اصطِلاحيّة، مُصطلحاتيّة. جاءت هاتان التّسميتان في مقال لـ: حلام الجيلالي، إذ يعمد إلى تعريف (عِلم المُصطلح) كالآتي:

«المُصطلحاتيّة لُغةً: مصدرٌ صِناعيٌّ مِن كلِمة (مُصطلحات) في حالة الجمْع لِلدّلالة على العِلم أو المَذاهِب أو الفنّ الخاصّ بنشاطٍ مِن الأنشِطة المَعارفيّة.

واصطِلاحاً: هي عِبارة عن اتِّفاق قومٍ (مُختصِّين) على تسميّة الشّيء باسم ما ينقل عن موضعه الأوّل»[2]

فهكذا نُلاحِظ أنّ ما دعاه أولئك **المُصطلحيّة** يُسمِّيه الباحِث هنا **المُصطلحاتيّة** لكِنّه يخلط مرّةً أخرى إذ نُلاقيه يُورِد هذه التّسمية نفسها في مُقابل (**Terminographie**) مُواصِلةً تعريفه لِعِلم المُصطلحات: «[...] ب ـ فرعٌ تطبيقيٌّ خاصٌّ

---

1 الشَّريف الجُرجانيّ، كِتاب التَّعريفات، ط.١، دار الفِكر، بيروت، ١٩٩٨، ص.٦٥.

2 حلام الجيلالي، المُصطلحاتيّة: دِراسةٌ في المَفهوم والتّعريف، مجلّة الحضارة الإسلاميّة، ع.٣ (خاص بالملتقى الدّوليّ حول: المصطلح العلميّ في التّراث الإسلاميّ، العلوم الشّرعيّة والإنسانيّة)، المعهد الوطنيّ للتّعليم العالي للحضارة الإسلاميّة، وهران، نوفمبر ١٩٩٧، ص.٢٢٢.

أو **مُصطلحاتيّة (Terminographie)** وهو مَجموع المُصطلحات الّتي تُمثّل المَفاهيمَ أو الأشياء الخاصّة بميدانٍ مُعيَّنٍ مِن المَعارِف أو النّشاط الإنسانيّ [...]»[1].

ويُجري تصريفه إجراءً مُشوّشاً حيث يُنسِب التّعريف إلى المُصطلحاتيّة فيقول:

«إنّ البحث في إشكاليّة التّعريف المُصطلحاتيّ [...]»[2] فيضع إلى جنْب هذا الأخير مُقابلاً فرنسيّاً **(Terminologique)** وكان عليْه أن يُورِد **(Terminographique)** ولا يضع **(Terminologique)** إلاّ كمُقابل لـ: اصطِلاحيّ بما أنّه وضع في مُقابل **(Terminologie) اصطِلاحيّة**.

كذلِك وجدنا ع. س. المسدّي يُقابل **(Néologie)** بتسميّة (**اصطِلاحيّة**) (وضْع المُصطلح)[3] مع أنّه سبق وأن أسند لِهذه التّسميّة في مُقدِّمة قاموسه مُقابل (عِلم المُصطلح)[4]

٤,١,١ المُصطلحيّات:

أمّا تسميّة **المُصطلحيّات** فهي مَبنيّة قيّاساً على اللّسانيّات والريّاضيّات والصّوتيّات. هذا وفق القاعِدة القيّاسيّة الّتي شدّ ما ألحّ عليها عبد الرّحمن الحاج صالح والّتي سنُدرِك أهميّتَها أكثر بإيراد المُقتبَس الآتي:

«تفضل الكلمة المولّدة الّتي اعتمد في وضعها على سنن كلام العرب في اشتقاقاتهم وطرق توليدهم وتترك الطُّرق الّتي لم يعرفها العرب كزيادة اللّواحق غير المعروفة في لغة العرب واستعمال وزن أو بناء لم تستعمله إطلاقاً أو استعملته في الأصل لمعنى بعيد كلّ البعد عن المقصود. وذلك مثل "صوتم" و "أسلوبية" و"معلوماتية" وغيرها. ولهذا يتجنب الاقتباس للأبنية الأجنبية أو الّتي لها مؤدى بعيداً عمّا هو مقصود (لم يستعمل المصدر الصّناعي ـ المختوم بـ "يّة "ـ أصلاً للدّلالة على الصّناعة أو العلم بل على الصّفة وكون الشّيء على هيئة وكيفية مدلولاً عليها باسم

---

1 حلام الجيلالي، المَرجِع السّابق، ص.٢٢٣.

2 المَرجِع نفسه، ص.٢٢٣.

3 ع. س. المسدّي، قاموس اللّسانيّات..، ص.٢٠١.

4 المرجِع نفسه، ص.٢٢. ويُنظَر: أعلاه، الهامِش ٤، ص.١٤.

جنس هو هذا المصدر أما العلوم فإن العلماء تعودوا أن يضيفوا لفظة "علم" إلى الموضوع الخاص واختصروا ذلك بأن استعملوا ياء النسب وصيغة الجمع المؤنث السّالم مثل علم الطبيعة = الطبيعيات / علم الرياضة = الرياضيات / أو على صيغة جمع التكسير: المناظر (= البصريات)»[1].

فهكذا يُمكِن إطلاق تسميّة (المُصطلحيّات) على العِلم وتسميّة (المُصطلحيّة) على الكُشوف المُصطلحيّة الخاصّة بكلِّ عِلمٍ، أيْ قائمة مِن كلِماتٍ تابعةٍ لَه، **وقيْد كلّ ما يُضاف إلى المُصطلح بـ (المُصطلحي)، وكذلِك إلى المُصطلحيّات، دائماً على غِرار (اللِّسانيّات).**

ـ استعملَ مُحمَّد الديداوي هذا المُصطلح، إليك أحد سيّاقاته:

«يَرى ساغر [...] أنّ المُصطلحيّات هي:

دِراسة ومَيدان نَشاط يُعنى بِجمع ووصف وتَجهيز وتَقديم مُصطلحات، أي بُنود مَعجميّة تَنتمي إلى مَجالات استِعمال مُتخصِّصة في لُغةٍ واحِدة أو أكثر»[2].

كما تكمُن أصالةُ هذه التّسمية في كونها تعكِسُ مرّةً أخرى صيغةَ الجمع لِتسميّة (مُصطلحيّة) ← (مُصطلحيّات) الّتي تُوافِق هذه المُعادلة: المُصطلحيات "عِلماً و قائمة مُصطلحات" = مُصطلحيّة ١ + مُصطلحيّة ٢ + مُصطلحيّة ٣ ... الخ.

ثمّ إنّه مِن الصّائب إطلاق على الباحِث في المُصطلحيّات تسميّة (المُصطلحيّ) وهو ما مهّد لَه ع. القاسِمي بـ (الباحِث المُصطلحيّ):

«والفائدة الثّانية الرّئيسيّة الّتي يجنيها الباحِثُ المُصطلحيُّ مِن تَخزين النّصوص العِلميّة والتّقنيّة في بُنوك المُصطلحات تتعلّق بتسهيل عملِه الخاصّ بتنميط المُصطلحات وتوحيدها»[3].

---

1 ع. ر. الحاج صالح، اقتِراح مقاييس لاختِيار الألفاظ، ضِمن « كلِمات الوفود المُشارِكة في المُؤتمر الخامِس لِلتّعريب المُنعقد عام ١٩٨٥ في عمان »، اللِّسان العربيّ، ع.٢٧، الرّباط، ١٩٨٦، ص.٦٩- ٧٠.

2 م. الديداوي، التَّرجمة والتَّواصُل: دِراسة تَحْليليَّة عمَليَّة لإشكاليَّة الاصطلاح ودور المُتَرْجِم، ط.١، المَركز الثَّقافيُّ العربيُّ، الدَّار البيْضاء - المَغرب، 2000، ص.٤٧.

3 ع. القاسِمي، نحو تَطوير بُنوك المُصطلحات: أداة لِلبحث المُصطلحيّ والعِلمي، اللّسان العربيّ،

كما يُنسبُ إلى (المُصطلح) في حالتيْ النّعت والإضافة، وكذلِك فعل محمّد الديداوي حينما استعمل مثلَ المُركّبات الآتية: (المُترجِم المُصطلحي)، (نشرات مُصطلحيّة)، (الشّبكة المُصطلحيّة)، (الدّائرة المُصطلحيّة)، (القوائم المُصطلحيّة)، (عمل مُصطلحي)، (التّرجمة المُصطلحيّة)[1].

٢,١ مادّة المُصطلحيّات

يُعدُّ هذا المَبحثُ جمْعاً انتِقائيّاً لِشيءٍ مِمّا يَمتدُّ إليه مَيْدانُ المصطلحيّات أكثر مِمّا هو عرضٌ تأريخيٌّ، إذْ أنّ المَفهوم المُصطلحيّ - وبالتّالي المَعنى - الّذي نشدْناه في بَحثِنا هذا بوصفِه قسيم المُصطلح، يتطلّب الالتِفاتَ إلى أكبر عددٍ مُمكِنٍ مِن الفُروع المَعرفيّة الّتي لَها صِلةٌ ما به. فَكلّما تصفّحنا في هذه الأخيرة أوجزنا الطّريقَ إلى مادّة المُصطلحيّات.

١,٢,١ دلالة القوالب اللّغويّة على المفاهيم:

إنّ جذورَ الممارسة المصطلحيّة ضاربةٌ في القِدم - قد يُقاس هذا الأخير بِقِدم اللّغة عينِها - نتمثّلها في ميل اللّغة العربيّة مثلاً إلى اشتقاق أو نحت تسميّات على أبنية لغويّة أو قوالبَ تعبيريّة جاهزة للدّلالة على مُسمّيات ذات خواصٍ بعضُها لصيقةٌ بصورة الكلمة المشتَقّة. ذلك لأنّ أهلها يكونون - في مَرحلةٍ لاحِقةٍ طبعاً - قد توسّموا في تلك الأدوات المدلول عليها وظائفَ رأوا أنّه لا بدّ أن يُحفر شيءٌ منها في أشكال تلك الكلمات المتداوَلة بين النّاس، ليتمّ بذلك تمايزُها بمجرّد ما توضع في سلسلة التّخاطب، وعلى محور الاستبدال، وفق علاقات تقابليّة، **تتباين بفضل صيّغها الدّالة في ذاتها على معانٍ معيّنة.**

وقد تنبّهَ إلى هذه الحقيقة علماءُ العربيّة، لا سيّما المحدثون منهم، وهم يَصِفونها،

ع.٢٨، الرّباط، ١٩٨٧، ص.٨٢.

1 م. الديداوي، المرجِع السّابِق، ص.٤٩- ٥٠.

فأكّدوا أنّ صيغةَ الكلمة أو وزنَها عنصرٌ أساسيٌّ في تحديد معناها، وأنّه لولا ذلك لالتبست معاني الألفاظ المشتقّة من مادّة واحدة، فالهيئة هي الّتي تُقيم الفروق بين (كاتب، ومكتوب، وكتابة)، وبين (شريك، واشتراك، وشركة)[1]. والمَعنى النَّاجم عنها هو المُسمّى بالدّلالة الصَّرفيَّة: «وهي الدّلالة الوظيفيَّة المُستمدَّة مِن مورفيم الصِّيغة، أو، كما يَقول "إبراهيم أنيس (ت.١٩٧٨)"، هي الدّلالة المُستمدَّة عن طريق الصِّيغ. فَكلِمة كذَّاب تَدلُّ على المُبالغة عن كلِمة كاذِب. فَاختِلاف الصِّيغة باستِعمال الأولى يمدُّ السَّامِعَ بِقدْرٍ مِن الدّلالة يَختلِف عن كلِمة كاذِب»[2].

ولِكلِّ لُغة شأنُها في هذه المَسألة، لكن تُشكِّلُ هذه الأخيرةُ (الأبنية اللُّغويّة) على العُموم أدلَّةً يُمكِن إدماجُها في ما سُمِّيَ بالأدلَّة النَّحويَّة المُنبئة عن العِلاقات سواء على مُستوى الجُمل أم الكلمات البسيطة والمُركَّبة[3].

لَسْنا هنا بصدد وضع اعتباطيّة الدّليل اللّغويّ موضع الشّكّ. ولا التّنكّر لنظاميّة اللّغة بما أنّ الظّاهرة المشار إليها أعلاه تشكّل جانباً لنظامٍ مِن أنظمة اللّغة، وهو النّظام الصّرفيّ حيث نجد جزءاً منه ممثّلاً في وحدات صرفيّة هي «المباني الصّرفيّة التي تعبّر عن المعاني الصّرفيّة الوظيفيّة»[4].

لكنّ غرضنا هَهنا موجّه إلى استجلاء الصّور التي ما انفكّت المصطلحات تتّخذها منذ قدم الأزمان، وتنبئنا عن مدى اكتراث لغة ما - وقدره - بتخصيص المفاهيم بمواصفات مميِّزة لها. ثمّ إنّ لكلّ لغة شؤونَها في أطوارها التّكوينيّة

---

1 يُنظر في شأن العلاقة بين المباني الصّرفيّة والمعاني كلاّ من: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، ط.٦، بيروت، ١٩٧٦، ص. ٣٢٨- ٣٣٢، ومحمّد المبارك، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠، ص.٩٥- ١١٢، وإبراهيم السّمرائي، التّطوُّر اللُّغويّ التّاريخي، دار الأندلس، (د. ب)، (د. ت)، ص.١٠٩- ١٢١ (الإبدال والقلب).

2 حلمى خليل، العربيَّة وعلم اللُّغة البنيويّ، دار المعرفة الجامعيَّة، القاهِرة، ١٩٩٥، ص.١٦٠. نَقله عن: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، طبعة ١٩٥٨، ص.٤٨- ٥١.

3 Look at : Pierre Guiraud, La grammaire, Coll. Que sais-je ?, 6éme éd. PUF, Paris, 1974, p.12-13.

4 تمّام حسّان، اللّغة العربيّة: معناها ومبناها، ط.٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨، ص٨٢.

والتّطوُّريّة تكون قد مرّت بها، وهي ذات صلات بالأفراد الذين يستعملونها، وفي مجتمعاتٍ معيّنة.

إذن، فَليس من حقّنا التّغاضي، وباسم تلك الاعتباطيّة، عن بعض الملابسات الّتي تكون الكلماتُ قد تشكّلت فيها، وأثناء أداء الإنسان وظيفته التّواصليّة، وعمّا علق بهذه الأخيرة من الرّغبة في الإسناد إلى تلك الكلمات مدلولات محدّدة مقصودة، تمّ تعيينُها بناءً على ما تتّسِم به من الخصوصيّات دائماً.

بل أدّى اعتبارُ هذه النّاحية في تشكّل الكلمات (بمراعاة الأبنية والنّزر القليل من المعنى المشترك بينهما)، إلى نداءِ بعض المصطلحيّين مؤخّرا بإعادة النّظر في نوع العلاقة الرّابطة بين التّسمية والمفهوم في مجال المصطلحيّات على الأقلّ، فراودتهم فكرة العلاقة المسبّبة[1] بين الدّال والمدلول التي كثيراً ما يشغلها المصطلح[2].

فهكذا يبدو الطّابع التّطبيقيّ متقدّماً، وفي ظلّه تطرّق القدماءُ مِن علماء العربيّة إلى تناول أهمّ قضيّة تندرج في جدول أعمال المصطلحيّات الحديثة وهي: علاقة الصّورة اللّفظيّة بالمعنى، لاسيّما ما يتعلّق منها بالأوزان الصّرفيّة.

«فَابن جنّي لا يُسوّي بين الدّلالات فَيجعلها بمنزلةٍ واحِدة، ولَكنَّه يُفاضِل بَينها فَيجعل الدّلالة اللَّفظيَّة في المَرتبة الأُولى مِن حيثُ القُوَّة، لأَنَّها لَفظٌ مَحسوسٌ كالفِعل مِثل قام، ثمَّ يَجعل الدّلالة الصِّناعيَّة في المَرتبة الّتي تَليها، لأَنَّها صُورةٌ يَحمِلها اللَّفظُ، وإن لمْ تَكن لَفظاً، فَلحقت بِحُكم الدّلالة اللَّفظيَّة، وجرت في

---

1 تَرجمة لِمُصطلح (Motivée): قِيَاسًا على مصطلح غير مسبّبة (Immotivée) حسب ترجمة عبد الرّحمن الحاج صالح له. ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللّسان الحديث (٣)، اللّسانيّات، م.٢، ع.١، مَعهد العُلوم اللِّسانِيَّة والصَّوتِيَّة، الجزائر، ١٩٧٢، ص.٤٦. مع العِلم أنَّ البلاغيِّين كانوا يستَعمِلونَ مُصطلح (المُسبَّبة) في وَصف إحدى العِلاقات الّتي لا بُدَّ أن تَكونَ بَين المَعنى المَجازيِّ والمَعنى الحَقيقيِّ في المَجاز المُرسَل. فعلى الرّغمِ مِن التَّداخُل الّذي قد يَنشأُ بَين هذا المُصطلح وبَين ما تَرجمه الأُستاذُ به مِن نَفس المُصطلح فهو (غير مسبّبة) جديرٌ بالتّحقيق إذ يصبُّ في نفس البنية المَفهوميّة تحت علاقة العام والخاص.

2 Look at: Rita Temmerman, Une théorie réaliste de la terminologie : Le sociocognitivisme, Terminologies nouvelles (Terminologie et diversité culturelle), Rifal, n° 21, Bruxelles, Juin 2000, p.59.

دائرة المَنطوق به، المَحسوس كَمصدر الفِعل مِثل القِيام في الزَّمن الماضي، وفي النِّهاية تَأتي الدّلالة المَعنويَّة، لأَنَّ الحواس ليست وسيلةً إليها، وإنَّما الفِكر هو الّذي يوصِل إلى هذه الدّلالة كَدلالة الفِعل على الفاعل»[1].

ـ فَكذلِك يُثبِت أحمد نعيم الكَراعين هذا التّقسيمَ مُعلِّقاً عليْه:

«وقد قدّمَ ابنُ جنّي الدّلالةَ (الصِّناعيّة) الصّرفيّةَ على الدّلالة المعنويّة واعتبَرها أقوى مِنها [...] وبيّن أثرَ الصِّيغة على الدّلالة»[2] ويستوقِفه عِندَ هذا الحدِّ تعرُّض الغربيِّين لِلدّلالة الصّرفيّة باسم المورفيم[3].

وَمن «تدبَّر أعمال عبد القاهر الجُرجانِيِّ يَجِده بَنى نَظريَّته الّتي سمَّاها (النَّظم) أو (مَعاني النَّحو وأحكامه) على أُسُسٍ أربعةٍ واضِحةٍ، لا يَتِمّ النَّظمُ إلاَّ بها:

- **الأَساسُ الأَوَّل:** مَعاني النَّحو، ودلالة هذا المُصطلح عِندَه يُعدُّ مِن أهمِّ أسُس مَنهجِه وأخطرِها.
- **الأَساسُ الثَّاني:** البُنى الشَّكلِيَّة الّتي تُحدِّد هذه المَعاني.
- **الأَساسُ الثَّالِث:** إمْكانات التَّأليف وطُرُق التَّعليق بَين الكَلِم.
- **الأَساسُ الرَّابِع:** ما يَجب أن يَكونَ عليه التَّرتيب بيْن الكلِمات وِفقاً لِجوانِبَ ثلاثة: (الاختِيار ـ المَوقِعيَّة ـ المُطابقة).

وَيأتي الإعرابُ نَتيجةً لِتكامُل هذه الأُسُس، وطِبقاً لِتآلُفِها وانسجامها. يقول عبد القاهر:

اللَّفظُ تَبَعٌ لِلمَعنى في النَّظم، وأنَّ الكَلِم تَترتَّب في النُّطقِ بِسبب ترتُّب مَعانيها في النَّفس، وأنَّها لَو خَلَت مِن مَعانيها حتَّى تَتجرَّد أصواتاً وأصداءَ حُروفٍ»[4].

---

1 عبد القادر حسين، أثر النُّحاة في البَحْث البَلاغيّ، دار غريب، القاهِرة، ١٩٩٨، ص.٢٨٩- ٢٩٠.

2 أ. ن. الكَراعين، عِلم الدّلالة: بيْن النّظر والتّطبيق، ط.١، المُؤسّسة الجامِعيّة لِلدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، ١٩٩٣، ص.٩٧.

3 المَرجِع نفسه، ص.٩٨.

4 مُصطفى النحاس، مِن قَضايَا اللُّغة، ط.١، مَطبوعات جَامِعة الكُوَيْت، الكُوَيْت، ١٩٩٥، ص.٢٦٧- ٢٦٨.

فـنُلاحِظ أنّ البُنـى الـشّكليّة تحتـلُّ الأسـاسَ الثّـاني علـى الـرّغم مِـن إيـلاء الجرجانيّ المَعنى المَكانة الأولى ضِمنَ الأسُس السّابقة.

وليست هـذه الظّاهرة وقفاً على اللّغة العربيّة إذ «تُلاحظ جليّا العلاقة المسبّبة للدّليل اللّغويّ في اللّغة الفرنسيّة [أيضاً] على مستوى صيغها المركّبة والمبنيّة، فبات مـن الممكـن لِلـدّلائل المعجميّـة الفرنـسيّة أن تتجلّـى أحيانـا وهـي مـسبّبة مـن منظـور صريحٍ : فكلمة (**Pommier**) تدلّ على شجرة ثمارها التّفّاح (**Pommes**)، وكذلك ينتج عن شجرة (**L'abricotier**) المشمش (**Abricots**) ...».[1] والتّصريف هنا بمعنى العَمليَّة الّتي تَجعل بَعضَ أقسام الكلِمات تَخضع لِتَنوُّعات في صوَرها تَدلُّ بذاتِها على معانٍ مُعيَّنة أو تُخصِّص وَظائفَ نَحويَّة في الجُمل.

١,٢,٢ الحدود والتّعريفات عند الفلاسفة

١,٢,٢,١ الفلسفة الإغريقيّة والتّحليل اللّسانيّ

إذا ما التفتنا إلى الفلسفة الإغريقيّة، وبكلّ عهودها تقريباً، نجد الأبحاثَ في التّعريفات والحدود وضبط المُصطلحات بها، تستهوي روّادَها. فهذا أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م) قد جعل مفهومَ التّعريف - وهو قسيم البحث المصطلحيّ - في مركز نظريّته اللّغويّة[2]. بل كان ينظر إلى هذه الأخيرة على أنّها الآلة المفرِّعة، وذلك في إطار البحث التّأثيليّ[3] الذي أرساه، ولم يبنِ عليها منطقه (الأورغانون) فحسب،

---

1 Aïno Niklas-Salminen, La lexicologie, Armand Colin / Masson, Paris, 1997, p.12.

2 هي نظريّة طالما تحمّس لها بعض اللّسانيّين من أمثال جون لاينز J. Lyons الّذي ما انفكّ يردّدها تحت تسمية (النّظريّة اللّغويّة التّقليديّة)، وأَكْثَرَ مِن مقابلتها بالنّظريّات اللّسانيّة الحديثة، والانتصار لها كأنّنا به يريد إحياء الدّرس اللّغويّ اليونانيّ بالأخصّ. ينظر :

John Lyons, Linguistique générale : Introduction à la linguistique théorique, Trad. Fr. par F. Dubois-Charlier et D. Robinson, Coll. Langue et langage, Ed. Librairie Larousse, Paris, 1970, p.131 et p.308.

3 هو بحثٌ كَثيرًا ما يَتداخل مع اللِّسانِيَّات التَّاريخِيَّة بل حتَّى مع النَّحو المُقارن. فهذه جاكلِين بيكوش J. Picoche تَرى أنَّه ظهر باكتِشاف اللُّغة السَّنسكْريتِيَّة، وتطوَّر بصورةٍ باهِرةٍ إبَّان القرن الثَّامِن عشر سِيَّما في أواخِرِه. لِهذا يُطلَق عليه في اللُّغة الفِرنسِيَّة مَثلاً مُصطلح:

لكن نظريّة الطّبيعة الفيزيائيّة التي جاد بها، وكذلك نظريّة الوجود الميتافيزيقيّ (ما وراء الطّبيعة) الّتي خاض فيها. وهي تُعدُّ جُزءاً مِمّا ذكره ي. أ. نيدا تحت عُنوان "مداخِل عمليّة مُختلِفة إلى المَعنى "إذ قال:

«تُعتبَر النّظريّة الفلسفيّة التّقليديّة الخاصّة (بالصّورة الذّهنيّة) مَدخَلاً عِلميّاً إلى مَوضوع المَعنى استُعمِل في الماضي استِعمالاً واسِعاً. ويَفترِض هذا المَدخَلُ أنّ المَعنى الحقيقيّ لِلمُفردة اللُّغويّة يُمكِن أن يتوازن بِطريقةٍ ما مع الصّورة الذّهنيّة المُقترنة بالرَّمز. ويُفيد هذا المَدخَل على ما يبدو في تبسيط دِراسة المَعنى»[1]. علماً أنّ تقليب الكلمة، وتفحّص أوجه استعمالاتها لَهُو جزء من البحث المصطلحيّ، ها هو ذا أرسطو يرتاده بكثرة حتى قيل إنّه ليس له مؤلَّفٌ خالٍ من الإشارات اللّغويّة من هذه الطّبيعة[2].

ويَنبغي التَّذكيرُ هنا أنَّ «كثيراً مِمَّا يَعتقِد المَرءُ اليومَ أنَّه مِن المَسائل اللُّغويَّة المُبكِّرة يندرِج تَحت العُنوان العام **philosophia** [...] الّذي يُغطّي في اليونان القديمة مجالاً أوْسع بكثيرٍ مِمَّا تُغطّي كلِمةُ "فلسفة **philosophy** "في الوقت الحالي، وهو عُنوانٌ يضُمُّ فِعليّاً كلَّ مجالات المَعرفة الإنسانيَّة»[3].

إذا كان الفلاسفةُ قد مارسوا ـ مُنذ عهود سالِفة ـ ما يُدعى بخطاب الحُدود فَبِما شغلَ بالَهم مِن مُحاولاتٍ ساعية إلى إدراك جواهِر الأشياء، وتَحديد الكائنات، والتّأمُّل فيها مِن أجل الوعْي بالمَوجود. وما إشرافُهم على السّيْل المتدفّق مِن المعاني وحِرصُهم على إرهاقِها في الدّلائل اللّفظيّة إلا اجتهادات مِنهم رامية إلى صُنع قوالب

يُنظَر: Jacqueline Picoche, Dictionnaire étymologique du Français, (Introduction), Coll. Les usuels du Robert, Ed. Dic. Le Robert / Poche, Paris, 1994, p.II (Recherche étymologique)

1 يوجين أ. نيدا، نَحْوَ عِلم التّرجمة، ترجمة ماجد النجار، سِلسلة الكُتب المُترجمة (٣٢)، مطبوعات وِزارة الإعلام، العِراق، ١٩٧٦، ص.٧٧.

2 يُنظر: Franco Lo Piparo, Aristote : La syllabe comme modèle de signification et de la définition, in La définition, actes du colloque « La définition » (Organisé par le CELEX de l'univ. Paris-nord, les 18 et 19 Nov. 1988), Librairie Larousse, Paris, 1990, p.24.

3 ر. هـ. روبنز، موجَز تاريخ عِلم اللُّغة (في الغرْب)، ترجمة أحمد عوَض، سِلسلة عالم المَعرِفة (٢٢٧)، المجلِس الوطنيّ لِلثّقافة والفُنون والآداب، الكُويت، ١٩٩٧، ص.٣٨.

موضوعاتية **(Thématiques)** لظواهر الفكر[1]. فاهتدوا بذلك إلى طريقة وضع التّعريفات التي اعتمدوا لضبطها الكليّاتِ المنطقيةَ، وهي موضوعة مبدئيّا كإجراءاتٍ فكرية، الغايةُ مِنها هي إقحامُ المتجادِلين ـ حسْب ما ذهب إليه أرسطو ـ في جوٍّ مِن الشُّعور بالمعاني (الحَدَس) الّذي يَتبعُه إدراكُ ماهيّات الأشياء ومعرِفة حقائق الظّواهر الطّبيعية واستِنطاق أحداث ما وراء الطبيعة (ميتافيزقيّة). وكذلِك مِن أجل جلب اهتمام الرّاغِبين في الفهْم، أولئك المتجادِلين خاصّةً. يتحكّمُ ـ في الحقيقة ـ في كلِّ ما يترقّبُه الفيلسوفُ ويجري في أذهان المتخاطِبين، نوعٌ مِن التّفكير التّحليليّ الّذي ما هو إلاّ استدلالٌ، أو يُستحسن أن يُنعتَ هكذا.

ـ ينقل ف. لو بيبارو (F. Lo Piparo) قوْلاً قاله أرسطو حول هذه النّقطة، إليك مِنه هذا المُقتطَف:

«تَنطلِق بدايةُ كُلِّ جَدلٍ مِن تلفُّظ الخصْم بشيءٍ لَه دلالةٌ صريحةٌ عِندَه وبالنِّسبة لغيْرِه. فشُعورُ المرْء بالدّلالة أوّلُ شرطٍ يتقدَّم به النّاسُ إلى الحَديث، بل هو الّذي يَجعلهم يُقدمون إليْه. فعندما تَستدلُّ لِصالح أُطروحةٍ مُعيَّنةٍ أو لِقضيَّةٍ ما، فنُقطةُ الانطِلاق ليْست النَّظرَ فيما أثْبته أو نَفاه الخَصْمُ مِن وُجودِ أو عدمِ وجودِ شيءٍ ما، وإلاّ ـ ولِكي يُعلِّل صِدق وجود ذلِك الشّيء ـ سيعترض عليك ذلك الخَصْمُ بقوْله أنّك مُقتنِعٌ ومُعترِفٌ بما كان يستعدُّ لِلانتِصار لَه وبذلك سيدحضك»[2].

فعِند أرسطو المعنى يولِّد الكلام باعتِباره يُشغِل النّاسَ. وكذلِك يُعتبَر الحديثُ صيَّاغةً لِلدّلالة ولا بدّ مِن إحقاقِ هذه الأخيرة بحدودٍ تعريفيّةٍ لكي يُبلغَ تمامُ الأوّل. ثمّ «إنَّ كلَّ خبرٍ مَحصولٍ عليه عن طريق البَرْهَنَة ناتِجٌ عن مَعرفةٍ سابقة الوجود»[3] وَإنْ كان صاحبُها مِن شأنِه أنْ يتوسّلَ باللُّغة ـ وهو يُستفسَر عن الدّلالة المَقصودة ـ تُعِدُّها وتَبنيها وَتُنظّمها وَتُجسِّمها. عِلماً أنّ «الاستِعمالَ الأرسطيّ لِلُّغة كنِظامٍ لِلتّصنيف الصّحيح لِلمَعرفة، بما أنّ اللُّغة لا تُجسِّد العِلاقات وحسْب، بل وتَكشِف النِّقابَ عنها

1 Look at: Sylvain Auroux, La définition et la théorie des idées, in La définition.., p.30.
2 Franco Lo Piparo, Op. cit., p.25.
3 Ibid., p.24.

أيضاً»[1]؛ فنِظاميّةُ اللُّغة عند دي سوسير متَّصِلة نسبيّاً بنظرة أرسطو هذه، غير أنّ ذاك ذهبَ مذاهِبَ شتّى في تصوير علاقة الفكر باللُّغة إذْ قَصَر وجودَ الأوَّل على توفُّر الثَّانية فعِندَه لا فكرَ بدون لُغة. والأوَّلُ مَرهونٌ بشروط الثّانية وقد عارض فكرةَ وُجود الفِكر بدون اللُّغة وعبّر عن ذلِك بالضّبابية الّتي ستشغُل ذلِك الفِكر الّذي يُزعَم وُجوده خارِج اللُّغة. وقد انساقَ خلفَ هذا الاعتِقاد جُمهورٌ مِن المُفكِّرين بل هناك مَن سبق إليه مِن أمثال ف. هومبلت[2]. وترديد المحدثين لهذه النّظريّة يسودها الإحالات إلى دي سوسير من ذلك ما عمد إليه إ. بنفنيست بيْنما يهتمّ أكثر بتحديد النُّقطة الّتي يتِمّ بها التّداخُلُ بيْن الفِكر واللُّغة. ويراها في كون الفِكر ليس مُجرّد انعِكاسٍ لِلعالَم بقدرِ ما هو تنظيمٌ رمزيٌّ لَه، بهذا يُمكِن لِلُّغة الّتي يُعبَّر بها عن هذا التّنظيم المَدعو رغمَ ذلِك تمثيلاً أنّ تلتقي بالفِكر عِند هذه النُّقطة[3]، وهو ما أسماه تودوروف استحضاراً[4]. وهذه الإمكانيّة اللاّمُتناهية تَظلّ أداةً رمزيّةً إذ لِكلِّ شيءٍ اسمٌ ويُشار إلى أشياء العالَم بأصواتٍ تَسمح باستِحضارِها بسُهولة حتّى في حالة غيّابها[5].

لِهذا يُقاسُ تفوُّقُ لُغةٍ على غيْرِها بمدى امتِيّاز النّشاط الفِكريّ والعِلميّ لِلقومِ الّذي يُمثِّل الأولى على نشاط القوم الّذي يتحدّث بالثّانية مع تبنِّي كلٍّ لِلُغته القوميّة. ويُتحقّق مِن سلامة هذه النّظرة بمُجرّد مُلاحظة ما يعمد إليه بعضُ المُفكِّرين مِن الإقبال على اعتِماد اللُّغة الكفيلة بنقلِ أفكارِهم مهما كانت غيْر قوميّة. ذلِك لأنّ النّشاط الفِكريّ والعِلميّ سينعكِس ـ لا مَحالةَ ـ على نِظام تِلك اللُّغة المَفهوميّ بما

---

1 يوجين أ. نيدا، نَحْوَ عِلم التّرجمة..، ص.٧٧.

2 Wilhelm Von Humboldt, Introduction à l'œuvre sur le Kavi et autres essais, Trad. et introduction de Pierre Caussat, Coll. L'ordre philosophique, Ed. du Seuil, Paris, 1974, p.85-86.

3 Look at: Emile. Benveniste, Problèmes de linguistique générale, T. 1, Coll. Idéa, Ed. Cérès, Tunis, 1995, p.33.

4 يُنظَر: محمّد سبيلا وعبد السّلام بنعبد العالي، اللُّغة: نُصوصٌ مُختارة، ط.٢، سِلسلة دفاتر فلسفيّة (٥)، دار توبقال لِلنّشر، الرّباط، ١٩٩٨، ص.٢٥. «العلامة والرّمز» مُترجَم مِن:
T. Todorov, Signe et symbole, In Philosopher, Ed. Fayard, 19880, p.129-134.

5 بول شوشار، اللُّغة والفِكر، ترجمة صلاح أبو الوليد، سِلسلة ماذا أعرِف ؟ رقم ١٢، المَنشورات العربيّة، (د. ب)، (د. ت)، ص.٣٢.

أنّ تِلك القدرة الرّمزيّة «هي أساسُ الوظائف المَفهوميّة»[1]. وفي هذا الصّدد يَقول ع. ر. الحاج صالح مُعلّقاً على النّظرات المُتطرِّفة إلى اللُّغات:

«وما يُمكِن أن تختصّ به أمّةٌ دون أخرى ويَكون لَه علاقة بأخلاقِها وعوائِدها هو نِظامُها المَفهوميُّ المُعبَّرُ عنه بالمُفردات. أمّا مَباني اللُّغةُ (أصواتُها وصيَغُها) الأساسيّة الخاصّة بها فليست تابِعةً بِجُملتِها لِلنِّظام المَفهوميِّ بل لِعددٍ كبيرٍ مِن العوامِل تَتداخَل وتَتشابك»[2]. حقّاً «فكلُّ لُغةٍ تَعرِف أنماطاً مُتنوِّعة في الشّكلِ والمَفهوم، فبيْنما نجِد لُغاتٍ مِثلَ العربيّة والسّنسكريتيّة وبعضَ اللُّغات السّلافيّة تعرِف وحداتٍ صرفيّةً لِلتّثنية تَقوم بهذه الوظيفة النّحويّة، ونجِد لُغاتٍ أخرى مِثلَ الألمانيّة والفِرنسيّة والإنجليزيّة لا تَعرِف مِثلَ هذه الوحدات، كذلِك الأمرُ بالنِّسبة لِوسائل تكوين الصِّيَغ الصّرفيّة لِلأسماء والأفعال وأنواعِها»[3].

لَقد عمل أبو حامِد الغزاليّ على الرّبط بيْن اللُّغة ومَلكة الإنسان على التّمييز فجعل مِن اللُّغة مُحتوى عاكِساً[4] وقسّم الدّلالة إلى أنواعٍ مُتراوحة بيْن التّخصيص والتعميم[5].

٢,٢,٢,١ الفلسفة التّحليليّة واللّسانيّة:

لعلَّ ما ساد في إنجلترا والوِلايات المُتَّحدة الأمريكيَّة مُنذ الحرب العالميَّة الثّانية مِن تيَّارٍ وُسِم بـ: **الفلسفة التَّحليليَّة واللّسانيَّة** هو امتِدادٌ ونَقدٌ في آنٍ واحِدٍ لِتلك النَّظرة الأَرسطِيَّة إلى اللُّغة القائمة على الانطلاقة مِن القضيَّة **(Proposition)** في التَّحليل الرّامي إلى عقلنة الكوْن (المحسوس والمُجرَّد) وهي المُرتبطة عِندها بالمُسنَد والمُسنَد إليه فقط، وليس بالمُتصوَّر الّذي يبدو أنّه قابلُ التَّجزِئة، بل وتُجزَّأ عناصِرُ الواقِع مِن

---

1 E. Benveniste, Op. cit., p.32.

2 ع. ر. الحاج صالح، مدخل إلى علم اللّسان الحديث (٣)، اللّسانيّات، م.٢، ع.١، مَعهد العُلوم اللِّسانِيَّة والصَّوتِيَّة، الجزائر، ١٩٧٢، ص.٠٧.

3 ح. د. كريم زكي، أُصول تُراثيَّة في عِلم اللُّغة، ط.٢، سلسلة المَكتبة اللُّغويَّة (١)، مَكتبة الأنجلوالمصريَّة، ١٩٨٥، ص.٢٢٧. نقله عن: فندريس، اللُّغة، ص.١٢٧.

4 يُنظَر: حلمى خليل، العربيّة والغُموض، ط.١، دار المَعرفة الجامعيّة، القاهِرة، ١٩٨٨، ص.٧٥.

5 طاهر سليمان حمودة، دراسة المَعنى عِند الأصوليّين، الدّار الجامعيّة لِلطّباعة، الاسكندريّة، ١٩٨٣، ص.١٨.

خِلاله ما دام هذا الأخير مُصنَّفٌ به. واللُّغة الأداة كفيلةٌ بأن تُنبِئَ مِن جهتِها عن هذا المُتصوَّر، وتساعِد في عمليّة فهْم المُدركات. وبما أنَّها تَرضى التَّحليلَ هي الأخرى فَتُستَنتَجُ هكذا بواسِطة الفلسفة التَّحليليَّة واللّسانيَّة أسرارٌ كثيرةٌ كانت تختفي في كِيّان اللُّغة الّتي تَظلُّ المُحتفِظة الأمينة على المُتصوَّر، لكن يُصبح هذا الأَخير في الفلسفة التّحليليّة هو المِحوَر الّذي يَدور في فلكِه ذلِك التّحليلُ بما أنَّه هو المعقل الأوّل الّذي تنْزل عن طريقه انعِكاسات عناصِر الطّبيعة في أذهان الأفراد.

ـ هذا ما يُشير إليه ي. أ. نيدا في صدد تناوُلِه أهمّ المَنافِذ الّتي يُولَج مِنها إلى اللُّغة والمَعنى:

«وهناك مَدخَلٌ إلى اللُّغة والمَعنى، يَختلِف شيْئاً ما عن المَداخِل الأخرى، ويُميِّز هذا المَدخل عملَ المَنطِقيِّين الرّمزيّين أو المُحلِّلين المَنطِقيِّين أو المُحلِّلين اللُّغويِّين كما يُسمَّوْن أحياناً ـ هذه الفِئةُ الّتي لم تقتنِع بالمَنطِق التّقليديّ لأنّه يُحدِّد فَقط الكيْفيّة الّتي يُفكِّر بها النّاس. [...] إنّ ما بَدا مُثمِراً أكثر مِن وجهة نظرهم هو الاستِقصاءُ الشّامِل لِلُّغة إمّا باعتِبارها أداةً يُعالِج بواسِطتها النّاسُ أفكارَهم أو نِظاماً يعكِس، كأيِّ نِظامٍ آخرَ تقريباً، تَفكيرَ النّاس. وطبقاً لِذلِك فإنّ المَنطقيّين الرّمزيِّين أمعنوا التّدقيقَ في اللُّغة وكشفوا عن مَشاكِلَ كثيرةٍ تغاضى عنها الآخرون أو أنّها لم تُعتبَر سِوى أمر مُسلَّم به كجُزءٍ مِن المَنطِق نفسه»[1]. يذكر ي. أ. نيدا مِمّا أسماهم بالرّمزيِّين والمَناطِقة المُحلِّلين كلاًّ مِن ن. تشومسكي وش. موريس، بعدما قسّم بعض المنطقيِّين الرّمزيّين إلى: **Pragmatics, Sentactics, Sémantics** [2] بالفِعل إذ

---

1 يوجين أ. نيدا، نَحْوَ عِلم التّرجمة..، ص.٧٩.

2 نُشير إلى أنّ ترجمة م. النجار هي: عِلم دلالة الألفاظ (Sémantics)، عِلم بناء الجُمَل (Sentactics)، عِلم عِلاقة الرُّموز بالسُّلوك (Pragmatics). بالنِّسبة لِهذا الأخير نُلاحِظ فيه شدّة اعتِماد المُترجِم العِبارة الواصِفة لعلَّ الفترة الّتي ترجم فيها هذا المُؤلَّف لم يَكن مُصطلَح (التّداوليّة) مَعروفًا. بل الأمرُ كذلِك إذا رجعنا إلى تاريخ أوّل ترجمةٍ لَه وهو الثّمانيينيّات رغم الاختِلاف حوله. يُنظَر مثلاً: أحمد المُتوكل، دِراسات في نحو اللُّغة العربيّة الوظيفي، ط.١، دار الثّقافة، دار البيضاء، ١٩٨٦، ص.٠٥. ويُحيل إلى مُؤلَّفه: الوظائف التّداوليّة في اللُّغة العربيّة، دار الثّقافة، دار البيضاء، ١٩٨٥.

«يُنسَب الاستِعمالُ الحديث لِمصطلح **Pragmatics** إلى الفيلسوف تشارلز موريس **Charles Morris**؛ وذلِك فيما كَتبه سنة ١٩٣٨ حول تَلخيص الإطار العام لـ: "عِلم العلامات" **Semiotics** ورأى أنَّه يَدور حول البَحث في ثلاثة مَوضوعاتٍ هي:

١) ما يَتَّصل بالنَّظم أو التَّركيب **Syntactic** (أو **Syntax**) وأساسُه دراسة العلاقات الاصطلاحيَّة بَين الرُّموز (أو العلامات أو الإشارات) بعضها وبعض.

٢) ما يَتَّصل بِعلم الدّلالة **Semantics**، وأساسُه دِراسة العلاقات بَين الرُّموز والمَوضوعات الّتي لا بُدَّ أن تأتي الرُّموزُ مُطابقةً لَها.

٣) ما يَتَّصل بالبراجماتيَّة الّتي تَدرُس علاقة الرُّموز بتأويلاتها أو الأشياء الّتي تُفسِّرها»[1].

فهكذا عبّدت هذه الفلسفةُ الطّريقَ لِتحليل المَفهوم الّذي هو الجانِب الآخر لِلمُصطلح أيّاً كان انتِماؤُه، إذ أنّ الفلاسِفةَ المُتأمِّلين في هذه الظَّواهِر، على الرّغم مِن اعتِمادهم التّخمين الحدسيّ في غالِب استِنتاجاتهم، فَقد وقفوا عِند حقائقَ طالَما أفادت الدّرس المُصطلحيّ في أيّامِنا هذه. فهذا ع. س. المسدّي يُلمِّح إلى أهميّة التّحليل المَفهوميّ في غيّاب المُصطلح قائلاً: «السّعي إلى تفادي المُصطلح يؤول إلى شرْح المَفهوم وتفكُّكه إلى مُركَّباته التّقريبيّة مِن المَعاني وظِلال المَعاني، ولمّا كانت السّبيلُ الوحيدة هي اللُّغة فَإنّ في ذلِك ازدِواجاً وظيفِيّاً»[2].

وتَجدرُ الإشارة إلى أنَّ هذا التيَّار قد اكتسب مع الزَّمن تَسمياتٍ مُختلِفة، نَذكر مِن بَينها: التَّحليل اللّسانيّ «**analyse linguistique**»، الاختِبار المَنطقيّ «**empirisme logique**»، تَحليل كامبريج «**analyse de Cambridge**»، فلسفة

---

1 مَحمود سليمان ياقوت، مَنهجُ البَحث اللُّغويّ، ط.١، دار المَعرِفة الجامِعيَّة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص.١٧٤- ١٧٥. نقل المَوضوعات عن: C. Morris, Writings on the general theory of signs, p.06. نُلاحِظ مرّةً أخرى عدم مَساس م. س. ياقوت لِلمُصطلح الأصلي وتفضيله إيراده برسمِه الخطّي في اللُّغة المنقول عنها.

2 ع. س. المسدّي، قاموس اللّسانيّات (مقدِّمة في عِلم المُصطلح)..، ص.١٦.

أُكسفورد[1] «philosophie d'Oxford». التّسميَّتان الأخيرتان مأخوذتان مِن مَنشورات الجامعات الانجليزيَّة حيث طغى هذا المَنهج الفلسفيُّ اللّسانيّ الّذي يتَّفق حولَه الفلاسفة التَّحليليّون واللّسانيّون المَعنيّون بالخِطاب بأنَّه نشاطٌ خاصٌ بالفلسفة هادِفٌ إلى بَلورة اللُّغة والمفاهيم الّتي تُعبِّر عنها. على أنَّ هذا لا يَعني أنَّ اللّسانيّين ظلُّوا مَكتوفي الأيادي ولم يُبالوا بما كان مَثارَ اهتِمام أولئك، بل كثيراً ما وَجدْنا مِنهم مَن بنى آراءَه اللُّغويَّة مُعتَبِراً البُعد المَنطِقيَّ لِلُّغة.

لَقد تَولَّدت جرَّاء هذه الزَّاوية الفلسفيَّة ـ القديمة مِنها والحديثة ـ لِتناوُل اللُّغة مُصطلحاتٌ كثيراً ما كانت جِسرًا بين المجالين اللّسانيّ والفلسفيّ. غيْر أنَّه مَهما قيلَ عن أهميَّة الصِّلات الّتي تَقوم بيْن المَنطِق والنَّحو فكلٌّ واحد مُستقِلٌّ عن الآخر فيما يَخصُّ نَظرتهما إلى تَقسيم أشياء العالم.

وانطباع المُصطلح اللّسانيّ بمُختلَف الاتِّجاهات الفلسفيّة السَّائدة في العالَم عبْرَ التّاريخ، وبالتَّأثير المُتبادَل بيْنها وبيْن الدَّرس اللّسانيّ ـ وذلِك في ظِلّ حِوارٍ مَعرفيٍّ هو بهذه المَنزِلة الّتي سطّرنا تحت بعض عناوينها ـ هو حقيقة تُفيد دِراستُها في استِجلاء مسالِك الصّياغة المُصطلحيّة اللّسانيّة باعتِبار الفلسفة أحدَ مشاربها وبوصْف الدَّرس اللّسانيّ واحِدًا مِن المحطّات الّتي حلّت عندها هذه الأخيرة. فهذا روبنز **(R. H. Robins)** يشهد قائلاً:

«وقد أحرز عِلمُ اللُّغة في ظِلِّ الرِّواقيِّين مَنزِلةً واضِحةً داخِل الإطار العام لِلفلسفة، فقد عولِجت المَسائلُ اللُّغويّة بشكلٍ واضِحٍ في أعمالٍ مُستقِلّة خُصِّصت لِلجوانِب اللُّغويّة، كما عولِجت بطريقةٍ مُنظَّمة»[2].

والرِّواقيُّون هم تابعو مدرسة فلسفيّة «ظهرت في أثينا، مُؤسِّسها هو زينون وذلِك حوالي ٣٠٠ ق. م، وقد عمل الرِّواقيُّون في عددٍ مِن المجالات الّتي عمل بها أرِسطو،

---

1 وهم الّذين يُنسَب إليهم الفيْلسوفُ الإنجليزيّ جون أوستين John. L. Austin صاحِب القَدَم الرَّاسِخة في دراسة اللُّغة العاديَّة المُمثَّلة في الكلام مِن زاويّةٍ فلسفيّة تحليليّة غيْر مُعقَّدة يُنْظَر:
Oswald Ducrot, Logique, structure, énonciation : lecture sur le langage, Ed. de Minuit, 1989, p.160.

2 ر. هـ. روبنز، موجَز تاريخ عِلم اللُّغة..، ص.٤٢.

ولكنّهم ـ في بعض نواحي الفلسفة والبلاغة ـ كانت لَهم مَناهِجُهم الخاصّة»[1].

ويَجدر التّنبيهُ في هذا المِضمار إلى أنّ اللّسانيِّين المُستَحكَمَةَ آراؤُهم مِن أمثال ف. دي سوسير، وإ. بنفنيست، ون. تشومسكي «كُلّ أولئك قد تحدَّثوا مِن مَوقِع اللُّغويِّين المُحاوِرين لِروّاد المَعرِفة الأخرى ولاسيّما مِنها المعرِفة الفلسفيَّة، وكلُّهم قد أبان عن وعْيٍ حادٍّ بالمُشكِل الإبستيمي الّذي تُواجِهه اللّسانيّات في تَلاقحها مع العُلوم الإنسانيّة الأخرى»[2]. ويُعاوِدنا هنا التِفات إ. بنفنيست إلى تعريف المعجم الفلسفي الّذي أسنده لالاند **(Lalande)** لِمَفهوم مُصطلح (البنية) ومِن زاوية فلسفيّة لِيُقارِن به ما أطلع به جمهور القُرّاء مِن تاريخ هذا المَفهوم الّذي ثارت حولَه مُناقشات تكفّلت بها أطرافٌ عِدّة[3]. فأنّى لَنا والحالُ هذه أن نتثبَّتَ مِن أنّنا وضعنا أيدينا على المفاهيم المَقصودة ونحن مُطالَبون بتحليلِها إذا ما تغاضَيْنا عن سَبْرَ أغوار المُصطلحات الّتي تَكون قد أدَّتها وفي مَجالاتٍ مُتنوِّعة؟.

فهكذا يرسم لَنا ع. س. المسدّي صورةً عن بقاء بل تطوّر التّأثير المُتبادَل بيْن اللّسانيّات والفلسفة الّذي يصدر عنه المُصطلحُ قائلاً:

«نحن إذن أمام وضْعٍ مَعرِفيٍّ جديدٍ: اللّسانيّاتُ فيه تُواجِه قَضايا كانت تُسنَد إسناداً كُلِيّاً لِحقل الفلسفة، والفلاسِفةُ فيه يَنتبِهون انتِباهاً فَجْئِيّاً لِلثّورة المَعرِفيّة الّتي تُنجزها العُلومُ اللّسانيّة، فإذا بهم يَنتقِلون مِن مِنصّةٍ إلى أخرى: كانوا يَهتمُّون باللُّغة فتحوّلوا إلى الاهتِمام بمنهج اللُّغويِّين في دِراسة اللُّغة»[4]. هذا المَنهج الّذي تَنوّعت آراءُ اللّسانيِّين حوْلَه حتّى تعدّدت المُقارباتُ بداخِله ذاته، وهو الّذي غزا عِدّة مجالاتٍ مَعرِفيّة فضْلاً عن الفلسفة، وإلى حدٍّ كبير حتّى صار مَوضوع تردُّد بعض اللّسانيِّين أنفسهم نظرًا لِما يجني على مَجال اختِصاصهم مِن المَفاهيم المُزيّفة والمُروّج

---

1 ر. هـ. روبنز، المرجع السّابق، ص.٤١.

2 ع. س. المسدّي، مباحِث تَأسيسِيَّة في اللّسانيَّات، مُؤسَّسة عبد الكريم بن عبد اللّه للنَّشر والتَّوزيع، تونس، (د.ت)، ص.١٨.

3 Look at: Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale, T. 1, Coll. Idéa, Ed. Cérès, Tunis, 1995, p.97.

4 ع. س. المسدّي، المرجع نفسه، ص.١٨.

لَها بعدما تكون قد تراكمت في ساحتها انطِباعاتُ المُفكّرين الّذين طرقوها[1]. لعلّ مِثل هذا التّخوّف هو الّذي قاد ج. مونان إلى التّحذير مِن مَغبّة الوُلوج إلى عالَم اللّسانيّات بدعامة أمثال ميشال فوكو وكلود ليفي شتراوس وموريس ميرلو بونتي ورولان بارت...الخ[2]، مُقصياً هؤلاء مِن دائرة المُفصحين عن المَنهج اللّساني الدّقيق والحقيقيّ. لكن ونحن في حُدود الدّرس المُصطلحيّ لا غِنىً لَنا مِن إعادة الاعتِبار لِلصِّلات التّاريخيّة والفِكريّة الّتي تعايشت في ظِلالِها مُختلَف المَجالات الّتي يُكون المُصطلحُ اللّسانيُّ قد طافَ حولَها أو لقّح مَفاهيمَها وغذّاها.

٣,٢,١ إسهامات العلماء والتّقنيّين في تنظيم المصطلحيّات

نستنتج مُنذ اللّحظة ممّا سبق عرضُه من الأشتات المكوّنة لمادّة المصطلحيّات أنّ المصطلح توليداً وبحثاً كانت له أصولٌ قديمة، لكنّ تنظيمه وإكساب المصطلحيّات وضعًا علميًّا أمرٌ حديث بالنّسبة لتاريخ اللّغة أيّاً كانت، ولأعمار العلوم والفلسفات مهما تنوّعت.

أمّا المُصطلحيّات الحديثة فقد مهّدت لها تلك الأعمالُ الّتي حقّقها بعض العلماء في القرن الثّامن عشر الميلاديّ على مستوى الثّقافة الغربيّة، من أمثال لافوازييه **(Lavoisier)** [3]، وبيرتولي **(Bertholet)** في ميدان الكيمياء، ولينيه **(Linné)** في ميدانيْ علم النّبات وعلم الحيوان. وهي أعمال تترجِمُ الأهمّيةَ التي شغلتها تسميّة المفاهيم العلميّة لدى الاختصاصيّين آنذاك. وتتمثّل تِلك الأعمال في معاجم مصطلحيّة بهذا المفهوم: «المعجم : **Lexicon/ Lexique** يقتصر على إدراج مجموعة محصورة من المصطلحات تنتمي إلى حقل معرفيّ محدّد ولا تكون مصحوبة بالمعلومات التي

---

1 O. Ducrot, Le structuralisme en linguistique, Coll. Qu'est ce que le structuralisme?, Ed. Seuil, Paris, 1968, p.18.

2 G. Mounin, Clefs pour la linguistique, 19éme éd. Segheres, Paris, 1971, p.07-11.

3 ينظر حول انطباق معنى (المصطلحيّة) على معجمه:

R. Dubuc, Manuel pratique de terminologie, Ed. Linguatech (Montréal), C. I. L. F (Paris), (s. d), p.14.

نجدها في القواميس»[1].

ثمّ أخذ العلماء خلال القرن التّاسع عشر يفكّرون في ضرورة التّمكّن من قواعد تكوين المصطلحات بالنّسبة لكلّ اختصاصٍ، وذلك نظرًا لبداية تدوين العلوم، فعُبّر عن هذه الحاجة أثناء النّدوات العالميّة لعلماء النّبات (١٨٦٧)، فعلماء الحيوان (١٨٨٩)، فعلماء الكيمياء (١٨٩٢)[2].

فإذا كان القرنان الثّامن عشر والتّاسع عشر قد شهدا إقبال العلماء على المصطلح، فسنجد القرن العشرين متميّزاً باحتواء التّقنيّين لقضيّة المصطلح، لاسيّما في ثلثه الثّاني، وذلك بفضل التّقدّم التّكنولوجيّ الّذي اتّسم به القرن العشرين. لهذا يشير آلان رِيـيْ **(A. Rey)**[3] إلى حتميّة ميلاد البحث المصطلحيّ في القرن الثّامن عشر وتطوّره بتزامن كلّ من التّقدّم العلميّ والتّطوّر التّقنيّ بظهور الحاجات إلى التّواصل الاجتماعيّ: فنبتت جرّاء ذلك، وعفويّاً، فكرة العناية بالمصطلح العلميّ والتّقنيّ، لكنّه يجزم بأنّ المصطلحيّات بوصفها مشروعاً علميّاً لم تشهد النّور إلاّ في غضون القرن العشرين، سرعان ما تحوّلت بعد ذلك (ومؤخّراً) إلى نشاط اجتماعيّ مكثّف. كما يذهب إلى أنّ المصطلح **(Terminologie)** بمفهوم البحث المصطلحيّ ـ (إسناد إليه وظيفة البحث في المصطلحات باستخراجها من ميادينها المحدّدة وتوضيح مفاهيمها ...الخ) ـ قد استخدم لأوّل مرّة من طرف كريستيان غوتلفريد **(Cristian Gotlfried)** (١٧٤٧ ـ ١٨٣٢) وذلك في ١٧٨٨[4].

يتّضح من هذا الرّأي وممّا سبقت الإشارة إليه أعلاه أنّ الفضلَ في تعبيد الطّريق

---

1 ينظر: ليلى المسعوديّ، ملاحظات حول معجم اللّسانيّات، اللّسان العربيّ، ع.٣٥، مكتب تنسيق التّعريب، الرّباط، ١٩٩١، ص.٢٠٩.

2 ينظر: Maria-Teresa Cabrè, La terminologie : théorie, méthode et application, Trad. du catalan par Monique C. Cornier et John Humbley, P.U.Ottawa / Armand Colin, Paris, 1998, p.22.

3 هو أصلاً متخصّص في صناعة المعاجم (Lexicographe) ، وأمين عام لسلسلة القواميس المسمّاة (Petit Robert)، عضو في C. N. R. S (باريس)، وله دراسات جمّة حول المصطلحيّات كاختصاص.

4 Look at: Alain Rey, La terminologie : Noms et notions, coll : Que sais-je ?, P.U.F, Paris, 1979, p.06.

للمصطلحيّات يعود إلى العلميّين في القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر، وأنّ الجدارة في الشّروع فيها هي من حقّ التّقنيّين وذلِك في الثّلث الثّاني من القرن العشرين[1]، إذ مِن المَعلوم أنّ إطلاق العِنان لِلتّقانة فسح المَجالَ أمامَ اندِفاع تسميّاتٍ جديدة، والتِماس السُّبل المُؤدّية نحو هذه الأخيرة لم يَكن لِيخلوَ مِنه البحثُ التِّقنيُّ، وفي أيِّ ميدانٍ كان[2].

سندرك أهمّيةَ وأدوارَ هؤلاء في تناولنا لدوافع قيَّام المصطلحيّات الحديثة وتطوّرها في المَبحثيْن الثّالِث والرّابع.

٣,١ دوافع قيّام المصطلحيّات

يمكِنُ ترتيبُ الدّوافع الّتي استدعت قيّامَ المصطلحيّات الحديثة وِفقَ التّسلسل الزّمنيّ لتطوّر هذه الأخيرة، فبالتّالي هي:

١,٣,١ حاجة الإنسان إلى المصطلحات لتسمية الأشياء والمفاهيم[3]

أملتْ ظروفٌ طبيعيّةٌ قاسيّةٌ على الإنسان وضْعَ أدواتٍ عِلميّة بدْءاً من أبسطها إلى

---

1 أعرضنا خلال بحثنا في أصول المصطلحيّات عن الإشارة إلى المصطلح العلميّ (العلوم الطّبيعيّة والرّياضيّات) في التّراث العلميّ العربيّ، لكونه مبثوثاً في كتب متخصّصة معقّدة (طبّية "ابن سينا"، ريّاضيّة "الخوارزمي"،... إلخ). وبحثُنا لا يقوى على الخوض في غمار هذا المحيط. ثمّ إنّ المعاجم القديمة لم تخصّص له مكانة خاصّة على غرار الأوربّيّين، اللّهم إلاّ معجمين هما: "كشف الظّنون"، "كشّاف اصطلاحات الفنون"، ينظر: أعلاه، ص.٤١. لكن مساعيهما كانت قاصرة ناقصة. وينظر حول المصطلح الرّياضيّ: محمّد سويسي، لغة الرّياضيّات في العربيّة، سلسلة التّرجمة / المصطلح العلميّ، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩، ص.١٧. (هي أصلاً رسالة دكتوراه دولة نوقشت بالسربون، باريس في ١٣ جانفي ١٩٦٩ بالفرنسيّة، وترجمها صاحبها إلى العربيّة).

2 Look at: Yves Gambier, Implications épistémologiques et méthodologiques de la socioterminologie, ALFA, vol. 07 / 08, 1994, p.99.

3 Look at: R. Dubuc, Manuel pratique de terminologie.., p.13.

obeikandl.com

الأجهـزة الـضّخمة والدّقيقـة، المعقّـدة في تركيباتهـا، والمحكمـة في أنظمتهـا، والمحـدّدة وظائفُهـا. تلـك الـتي سـخّرها لـه التّقـدّم العلمـيّ والتّطـوّر الـتّقنيّ، وقـد بـدأ يهتدي إليها بينما كان في صراعٍ مع الطّبيعة التي ما انفكّ يحاول التّحكّم فيها، فوضع يدَه على بعضِ سننِها واكتشف مصادر الطّاقة، وتعاقبت الاختراعاتُ العجيبة، فعرف بذلك تحسّنا في معيشته، وتنامت متطلّباته على قدر ذلك التّحسّن أو أزيد، كما تعمّقت تصوّراتُه للحياة والعالم والإنسان ذاتِه، وأصبح يتفلسف في معتقداته وإيمانه باللّه وبوجودٍ آخر، فنتج عن ذلك كلّه ضرورة العمل على تكييف لغته مع كثافة الرّصيد المعرفيّ، وتكاثر الموجودات.

في مَبحثٍ مُعنوَنٍ كالآتي: التّجديد في **مَتن اللُّغة** وفي نَحوِها (ف.٦، م.٢، ص.١٧٦)، يقول أ. مارتيني:

«بادئ ذي بدءٍ بإمكان المرء أن يَنطلِقَ مِن أنّ اللُّغة تَتطوّر مع تطوُّر حاجات التّبليغ داخِلَ الجماعة الّتي تَستعمِل هذه اللُّغة. وطبيعيٌّ أن يَرتبطَ تطوُّر هذه الحاجات بعلاقة مُباشِرة مع تَطوُّر الجماعة على صعيد الفِكر والمُجتمع والاقتِصاد. ويَبدو هذا الأمر جليًّا في تَطوُّر المُفردات اللُّغويّة، إذ أنّ ظُهورَ سِلعِ استِهلاكيّة جديدة يُؤدّي إلى ظُهور تَسميّاتٍ جديدة، والتّقسيم المُتنامي لِلعملِ يَجلِبُ بدوره أيضًا تَعابيرَ جديدةً تُوازي الوظائفَ المُستجدّة والتّقنيّات المُستحدثة»[1].

عِلمًا أنّ «اللّغة هي نفسها معرفة تقنيّة وفي نفس الوقت الأداة التي يحلّل الإنسان بها وعلى مقاييسها الواقع، ومنذ أن خُلق الإنسان احتاج إلى أن يضع لهذا السّبب نفسه الألفاظ الفنّية الخاصّة، وكثر ذلك بتكاثر المسمّيات المستحدثة على ممرّ الأيّام بل القرون»[2].

وباعتبار المصطلح جزءاً هامّاً من هذه اللّغة النّوعيّة صار شُغلاً شاغِلاً للأخصّائيّين، كلّ في ميدانه. «ومِن الثّوابت المَعرفيَّة المُطلَقة أنَّ اللُّغة ظاهِرةٌ جماعيَّةٌ

---

1 أ. مارتيني، مبادئ اللسانيات العامّة، ترجمة أحمد الحمو، بإشراف عبد الرحمن الحاج صالح وفهد عكام، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٤- ١٩٨٥، ص.١٧٦-١٧٧.

2 عبد الرّحمن الحاج صالح، الذّخيرة اللّغويّة العربيّة، اللّسان العربيّ، ع.٢٧، ١٩٨٦، ص.٤٥.

واجتِماعيَّة تتحرَّك طوْعًا كُلَّما تلقَّت مُنبِّهًا خارِجيًّا، فَما إن يستفِزّها الحافِزُ حتّى تَستجيب بواسطة الانتِظام الدّاخليّ الّذي يُمكِّنها مِن استيعاب الحاجة المُتجدِّدة والمُقتضيات المُتوَلِّدة وهكذا تَصطنِع اللُّغةُ نَهجًا مِن الحركة الذّاتيّة»[1].

٢,٣,١ اتّصال اللّغات بعضها ببعض

ما أسفرَ عنه الدّافعُ الأوّل هو نشوءُ المصطلحيّات كاختصاصٍ أخذ في الظّهور انطلاقًا مِن أواخر القرن الثّامن عشر لصالح الثّورة الصّناعيّة[2] التي شهدتها أوربا، ممّا مهّد لخلق الأجهزة والأدوات الأولى للتّنميط التّقنيّ. فالمصطلحيّاتُ كانت في هذه المرحلة تميل أكثر إلى **مصطلحيّات مُنمّطة**[3]، إذ كان قُصارى جهودها الوقوف كحلقة وصل ما بين الأشياء وتسمياتها، والعمل على جعل هذه الأخيرة أكثر نجاعة من ذي قبل لكون الأولى تعتبر منتوجات مخصّصة للتّبادل والتّسويق. لهذا قيل إنّ المصطلحيّات تشكّلت ما بين الحربين في سياق التّنميط المعياريّ التّقنيّ. فكان الغرض منها آنيّا، ونشطت في ظلّ أحادية اللّغة.

أمّا بعد الخمسينيّات حيث تزداد التّبادلات التّجاريّة الدّوليّة تكثيفاً، وتتكوّن مجموعات جيولسانيّة[4]، تميل الشّعوب إلى التّعارف، وتمتزج ثقافاتها المتنوّعة، وتحتكّ اللّغات فيما بينها، وفي إطار تداخل الحضارات بل حتى في جوّ صراع الدّول فيما بينها وتناحرها، ومحاولة تغليب ثقافة على أخرى وذلك في عشريّات الغزو الثّقافيّ، وفرض سياسات معيّنة على حساب غيرها[5].

فتحسّست بذلك الدّول المتقدّمة للرّهان الجديد الّذي لا بدّ أن تنهض به المصطلحيّات في ظلّ تطلّع اللّغات إلى احتضان التّقدّم، ممّا وجّه همّها إلى ضرورة

---

1 ع. س. المسدّي، المصطلح النَّقدي، مُؤسَّسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ١٩٩٤، ص.١٢-١٣.

2 Look at: Edena Atibakwa Baboya, Terminologie européenne et terminologie africaine: Eléments de comparaison, Terminologies nouvelles, n° 21.., p.33. L'auteur cite : L. Depecker, L'ère de la terminologie informationnelle, in Revue française de linguistique appliquée, n° 2, 1998, p.07.

3 (Terminologie normalisante).

4 (Géolinguistique)

5 Look at: Marcel Diri-Kidiri, Terminologie et diversité culturelle, Terminologies nouvelles, n° 21.., p.05.

الإمساك بعمليّة التّرجمة في سبيل تتمّة العمل بواسطتها، وعن طريق معالجة مصطلحيّة متعدّدة اللّغات، فأصبح لزاماً على كلّ لغة أن تتكيّف مع ما أخذته غيرها من أشواط في تقدّمها، وأن تتحكّم في المفاهيم الوافدة إليها، فكانت المصطلحيّات إذن في ظلّ هذا المنطق الجديد **مصطلحيّات مُترجمة**[1].

لكن - مِن جهة أخرى - ظلّت الدّول النّامية تعاني من واقع الازدواجيّة اللّغويّة، وتركن إليه رغم محاولاتها الرّامية إلى التّحرّر ليس فقط من هذه الازدواجيّة، لكن من اللّغة المُسيطِرة، نافضة قيود هذه الأخيرة، حَدْوُها إحياء لغاتها القوميّة[2]، واتّخاذها مناط التّحوّل الثّقافيّ.

فأخذت هذه الدّول تضحّي إلى جانب لغات المستعمر القديم باللّغات الأمّ، مفضّلة[3] اعتناق اللّغات الوطنيّة[4]، غير أنّه ما انفكّت اللّغاتُ المتبنية أو المُبْعثة تقتفي آثار تلك المتقدّمة[5]، إذ لم يكن من السّهل عليها التّبرّأ من تبعيّتها لهذه الأخيرة. وسجّلت بذلك المصطلحيّات اهتماماتها في إطار اتّصال باللّغات عبْرَ **المُولِّد المُترجِم**[6].

٣,٣,١ تسابق الدّول الصّناعيّة إلى احتكار المنتوجات

إنّ التّنافس في سبيل وضع المواصفات التّقييسيّة لَهو أحدُ الأسباب الدّافعة

---

1 (Terminologie traductive) وهي تقابل في السّياق المشار إليه أعلاه بـ (Terminologie normalisante).، ينظر الصّفحة السّابقة.

2 ويعتبر التّعريب الشّموليّ في الدّول العربيّة مثالاً على ذلك.

3 اللّغات واللّهجات الأصليّة التي يستعملها المواطنون في حياتهم اليوميّة.

4 مثل العربيّة الفصحى أو المشتركة.

5 يُنظَر تصويرًا لهذه الحالة مجسّدة في واقع الازدواجيّة اللّغويّة في الجزائر والتّعريب في مقالات نشرها " محمّد مصايف " في جريدة " الشّعب الجزائريّة " ما بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧١، وقد جمع بعضها في كتاب. ينظر : محمّد مصايف، في الثّورة والتّعريب، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ١٩٨١. لاسيما هذه المقالات: " أسطورة صعوبة اللّغة العربيّة " ص.٨٧-٩٠، و" التّعريب أو الازدواج اللّغويّ " ص.٩١-٩٤، و" الازدواج اللّغويّ من جديد " ص.٩٥-٩٨، و" موقفنا من اللّغة القوميّة " ص.٩٩-١٠٦.

6 Look at: Adrien Hermans & Andrée Vansteelandt, Néologie traductive, Terminologies nouvelles, (Nouveaux outils pour la néologie), Rint, n° 20, Bruxelles, Décembre 1999, p.37.

بالـدّول المتقدّمـة إلى اهتمـام بالمـصطلحات الـتي تحمـل عنـاوين وشـعارات تتّـصل بالاقتـصاد عامّـة، وتقـيم بهـا نجاحـات معتـبرة. وكانـت رغبـة الاتّحـاد الـسّوفياتيّ ـ آنذاك ـ في تجاوز التّخلّف الصّناعيّ واللّحاق بركب التّقدّم الأوربيّ وراء اهتمام أهل الصّناعات فيه بموضوع المصطلحات في وقت مبكّر، إذ نجد لوط **(D. S. Lotte)**[1] (١٨٨٩-١٩٥٠) يؤسّس ما يدعى بالمدرسة السّوفياتيّة للمصطلحيّات[2].

وأدّت ظروف المنافسة بين الصّناعات في الدّول الغربيّة، ورغبة العلماء في الدّول المتخلّفة في التّعرّف على ما عند أقرانهم مِن العلوم، إلى تناول موضوع المصطلحات على المستوى الدّوليّ، فقامت في هذا الإطار "اللّجنة التّقنيّة (الفنّيّة) ٣٧" في "الفيديراليّة الدّوليّة للاتّحادات الوطنيّة للتّقييس" [3] سنة ١٩٣٤ ببحث موضوع توحيد المصطلحات الدّوليّة في مجال الصّناعات والعلم.

فأخذت بذلك مجموعات من الباحثين تتكوّن في مجال المصطلحات من أجل وضع قواعد كفيلة بتقنينها، وعرفت إحدى هذه المجموعات فيما بعد بمدرسة فيينا للمصطلحيّات.

ومجملُ القول فيما يخصّ هذه الدّوافع يليق إيراده بقلم روبير ديبيك (R. Dubuc) الّذي يستنتج قائلاً:

«بيد أنّ المصطلحيّات لم تشهد النّور إثر مجرّد الرّغبة في التّمايز، إنّ ما أدّى بها إلى الرّقيّ إلى مصاف الاختصاص المستقلّ هو التّقدّم الباهر الذي عرفته التّقنيّات من جهة، والحاجات المتناميّة إلى التّواصل بين المجموعات اللّغويّة المختلفة من جهة أخرى»[4].

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أنّ ما يعدّ دوافع بالنّسبة للغربيّين إلى تبنّي نظريّة مصطلحيّة محكمة، هو عقبات بالنّسبة للّغة العربيّة، فعلى أهلها أن يتحسّسوا خطورتها ويتّخذوها مسوغات للانطلاق.

---

1 ينظر: أسفله، الهامِش: ٢، ص.٤٢.

2 Look at: Guy Rondeau, Introduction à la terminologie, 2 éme éd, Chicoutimi Gaëtan Morin, 1983, p.07.

3 ينظر: أسفله، ص.٤٩.

4 R. Dubuc, Op. cit, p.13.

٤,١ تطوّر المصطلحيّات الحديثة

مرّ هذا التّطوّر بثلاثة أطوار، وهذا التّقسيم له ما يفسّره، سنعمد إلى ذلك على مدى كلّ طورٍ، بحيث نتتبّع الخيط الذي تشكّل أثناءه ما أسماه المصطلحيّون فيما بعد **بالنّظريّة العامّة للمصطلحيّات Théorie générale de la terminologie**، وهي التي تُدعى حاليًا بالنّظريّة المُصطلحيّة الكلاسيكيّة. وهذه الأطوار هي:

١,٤,١ الطّور الأوّل: ١٩٣٠-١٩٦٠

امتداد الممارسة المصطلحيّة:

أخذت المصطلحيّاتُ الحديثةُ تتبلْوَر خلال الثّلاثينيّات من القرن العشرين، تحديدًا بفيينا[١]. وذلك بفضل أعمال الأستاذ النّمساويّ ي. فيستر **(E. Wüster)**[٢]، في أوائل بحوثه المصطلحيّة، لاسيّما رسالته الأكاديميّة، حيث بَسَط أهمّ العوامل الّتي كانت وراء تنظيم العمل المصطلحيّ، وأقام المبادئَ الرّئيسيّة الّتي لا مناصَ منها في تحديد المصطلحات، كما اهتمّ بوضع الخطوط العريضة لمنهجيّة البحث في معالجة المعطيات المصطلحيّة.

---

1 نخصّ النّمسا من أوربا إذ هنالك طبّقت الثّمار الأولى للمصطلحيّات، وذلك في ميدان التّقنيّات خاصّة. أمّا التّاريخ المُعلَن عنه فقد أشار إليه ج. مونان في صَدد حديثه عن عِناية المُصطلحيِّين والتِّقنيِّين السبّاق بقضيّة التّعريف في مَجال مُعالجاتهم لِلمُصطلحات. يُنظَر:
Georges Mounin, Les problèmes théoriques de la traduction, Ed. Gallimard, Paris, 1963, p.127. ، ومتن النّص المُقتبَس مِن المرجع نفسه مُثبَتٌ أسفله، ص.٤٥.

2 يوجين فيستر (١٨٩٨-١٩٧٧): مهندس نمساويّ متخصّص في مجال الكهرباء، يعدّ مؤسّس المصطلحيّات الحديثة، والممثّل الرّئيسيّ لما يدعى بـ: " مدرسة فيينا للمصطلحات " - إلى جانب لوط (١٨٨٩-١٩٥٠) ممثّل " المدرسة السّوفياتيّة (آنذاك) للمصطلحات " - كما أسّس مركز البحث المصطلحيّ في مدينة فيزلبورغ (Wieselbourg)، مجهّزاً بمكتبة كبيرة، متخصّصة في المصطلحات. ينظر: علي القاسميّ، علم اللّغة وصناعة المعجم، مطبوعات جامعة الرّياض، الرّياض، ١٩٧٥، ص.١٠. يُنظَر أيضاً: M. -T. Cabré, La terminologie : Théorie, méthode et application.., p.22.

لقد كانت انشغالاتُ فيستر في هذه المرحلة المُبكّرة ـ كما أكّد ذلك ج. روندو (G. Rondeau)[1] ـ منصبّة خصوصًا على وضع منهجيّة محكمَة لتخضع لها البحوثُ المصطلحيّة، وعلى فرض رؤية معياريّة استوحاها مِن ممارسته المصطلحيّة، ولم تكن مجرّد تخمينات نظريّة طالما عوّدتنا بها بدايات كلّ علم بينما هو في طريقه نحو التّأسُّس. صحيحٌ أنَّ تِلك التَّخمينات ذاتُ أهميَّة، لكن هذا بعدما يتكوّن موضوعُ ذلك العلم طبقا للرّأي القائل:

«يتقدّم تعريف العلم لموضوعه على تعريفه لذاته لأنّ العمليّة الأولى ينجزها العارف بالعلم، فهي إجراء داخليّ، أمّا الثّانية فيضطلع بأمرها ناقد العلم حالما يستكشف مقولاته ونواميس استدلاله، فهذه العمليّة من الإجراءات الخارجيّة»[2].

ونحن لا نستغرب هذا الطّابع، إذا عرفنا أنّ ملامح التّطبيق لم تفارق المصطلحيّات قطّ. وقد رأينا أنّ أحد الأسس التي ترتكز عليها هي ميدانيّة البحث، ثمّ إنّ المصطلحيّات نشاط يستحيل إتقانه خارج الممارسة. فهو مثل التّرجمة من هذا الباب، لهذا تنظّم في الدّول المتقدّمة تربّصات للمصطلحيّين على غرار تدريبات المترجمين. ولا ضرر في التّكرار هنا ـ بأكثر ما يستدعي المقامُ من التّوضيح ـ أنّه من جملة الدّوافع الملحّة على إنشاء علمٍ يُعنى بالمصطلحات هو ما عرفته العلوم من التّطوّر السّريع، والتّقانة من التّقدّم، انطلاقاً من القرن الثّامن عشر، فكُلّلت بازدهارٍ حضاريٍّ ترتّب عنه تفاقمُ الحاجات إلى المصطلحات لمواكبة تلك الحركة العلمية المتاحة والمتسارعة من جهة، وفتح السّبل أمام نشاطيْ التّأليف والتّرجمة اللّذيْن أخذا يشهدان نضجًا لم يسبق له مثيل، ومع شدّة اتّصال اللّغات فيما بينها من جهة أخرى، وكذلك تيسيرًا لوسائل تبادل المعلومات والانتفاع من خبرات الغير.

فلم يعد آنذاك أطوع من المصطلح في توثيق معطيات الحضارة وتخزين نتائجها من الاكتشافات العلميّة ومظاهرها من الاختراعات التّقنيّة. وهذا نظرًا لِما يتّسم به

---

1 Look at: Guy Rondeau, Introduction à la terminologie.., p.09.

2 عبد السّلام المسدّي، اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦، ص.٢٣.

المصطلحُ من الخصائص: كالدّقّة في التّعبير عن المفاهيم، ودلالته على أشياء مادّية محدّدة، وإمكانيَّة استقرار معناه في مجال معرفيّ معيّن حيث يُستعمل، ووضوحه إلى أقصى درجة ممكِنة ...الخ. عِلمًا أنَّ «لُغات التَّخصُّص تتوخَّى الدِّقة والدّلالة المُباشِرة، وكِلتاهما سمةٌ جوهريَّة في المُصطلحات العلميَّة والتِّقنيَّة»[1]. وقد استُخلِصت هذه المميّزاتُ وغيرُها، من الإجراءات التّطبيقيّة.

فضْلاً عن ذلك **التّعريف المصطلحيّ** الّذي وَقعَ في بُؤْرة اهتِمام المُصطلحيِّين مُنذُ هذه المَرحلة إذ اعتُبِر المَطلَبَ الخطيرَ في مَجال توثيق المعلومات، والحالُ أنَّه «أُلِحَّ على ضرورة استِعمال المَوارِد المَكتبيَّة منذ نِهاية الحرب العالميَّة الأوْلى»[2]. كما لوحظ خِلالَ هذه الفترة مدى اختصاص التّعريف المصطلحيّ مثلاً بسِمَة وصف المفهوم عن طريق مفاهيم أخرى سبقَ تسجيلها لدى الأخصَّائيّين حيث تُستثمَر باعتِبارها مَعلومات، حتَّى أنَّ مُصطلح التَّوثيق بالمَفهوم التِّقنيِّ المُتعارف عليه حاليّاً «بَدأ يَظهر سنةَ ١٩٣١»[3]. فَأُنيطَ ـ في مِثل هذا المُناخ المُتيقِّظ ـ بالتّعريف المصطلحيّ دورُ تمييز المفاهيم بَعضها عن البَعض داخل المجال المفهوميّ الذي يتّسع له ويحدّده. وأخذَت ملامِحُ الانصِراف إلى تقدير الطَّابع اللُّغويّ لِلتَّعريفات تبدو في آفاق انشغال المُصطلحيِّين: لِهذا فَلهم فضلُ السَّبق في هذا المَيدان تُلفي ج. مونان يُشيدُ به بَعدما لاحظ إهمالَ اللِّسانيِّين وصف التَّعريفات لِسانيًّا إلاَّ ما وقع مِنه بصورةٍ ضِمنِيَّةٍ وعفويَّة، قائلاً:

«إنَّ هذا الإجماع الأخَّاذ المُنصبَّ حوْل منْح تَعريف المُصطلحات عُنصرًا ووَضْعًا لُغويًّا مُعترَفًا به، حدث وأن عزَّزه النَّشاطُ النَّظريُّ لِلمُصطلحيِّين والمُعيِّرين مُنذ أكثر مِن رُبع قرن»[4].

فإذا ما اعتبرنا ما أبداه يوجين فيستر مِن وُجهات نَظرٍ ـ وهو أحدُ الرُّواد في هذا المَيدان مُنذُ ثلاثين سنة، وواحِدٌ مِن الحُجَّتيْن العالمِيَّتيْن أو الثَّلاث في هذا الشَّأن ـ

---

1 محمود فهمي حجازي، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح..، ص.١٤.

2 Jacques Chaumier, Les techniques documentaires, Coll. Que sais-je ?, 2éme éd. PUF, Paris, 1974, p.06.

3 Ibid., p.06.

4 إنطِلاقًا مِن تاريخ إنجاز البحث المُشار إليه في الهامِش المُوالي والمنشور في نوفمبر ١٩٦٣ مِمَّا يُحيلُ إلى الثَّلاثينيَّات من القرن نفسه.

نُلاحِظُ أنَّه «يَضع كوْن "التَّعريفات يَنبغي أن تُعالج قبلَ المُصطلحات "باعتِباره مَبْدأً أساسِيًّا لِكلِّ تَنميطٍ مِعياريٍّ لِمعجمٍ عِلميٍّ وتِقنيّ»[1].

من هنا نستنتج أنّ أعمال ي. فيستر المصطلحيّة السَّاعية خلال هذا الطّور إلى تقديم حلولٍ آنية لِمشاكل مُصطلحيَّة، تدخل في إطار ما أسماه روبير ديبيك فيما بَعْد بـ: البحث **المصطلحيّ الدّقيق (Recherche terminologique ponctuelle)**[2].

تَجدُر الإشارةُ هنا إلى أنَّه على الرّغم مِن أنَّ هَمَّ فيستر لم يكن في هذه المرحلة لغويًّا بحتًا، فوضْع اللّغة العربيّة حاليّا ـ ومنذ عقود�ٍ ـ قابلُ القيَّاس بأوضاع كثيرٍ من اللّغات الأوربيّة آنذاك، فالنّقص الذي كانت تعاني منه تلك اللّغات في مجال المصطلحات، وانبهارها إزاء السّيول المتدفّقة من الاختراعات والاكتشافات، والإحساس بضرورة إقامة جسورٍ فيما بين العلماء والتّقنيّين، وبيْنهم وبيْن الأشياء المُبتدَعة، كلّ ذلك وغيره حمل تلك اللّغات على استعراض مؤهّلاتها الدّاخليّة إغراءً للعلماء والتّقنيّين، فخصّصوا بعضَ الشَّيء من أبحاثهم لمعالجة قضايا المصطلح واللّغات العلميّة ولغات الاختصاصات.

ـ وشبيهٌ بهذا التّخوُّف ما يتأسّف مِنه م.ع.م. خفاجي:

«وفي هذا الإطار اللُّغويّ العِلميّ الرّصين عمَلَت اللّجانُ العِلميّةُ اللُّغويّةُ المُتخصِّصة، إلاّ أنّ سَيْلَ الألفاظ الأعجميّة الّتي لا يَستسيغُها اللّسانُ العربيُّ أخَذ يَنتشِر بيْن الدّارسين والعامِلين في غيْبةٍ مِن حارِسٍ أو رقيب، وهنا ظهَرَت الحاجةُ إلى إجراء عِلاجٍ حاسِمٍ سريعٍ لاستِئصال هذه الشّوائب الخطيرة مِن اللُّغة العربيّة قبلَ أنْ تَستقرَّ ويَصعُب اقتِلاعُها»[3].

---

1 Georges Mounin, Les problèmes théoriques de la traduction.., p.127. Il cite : E. Wuster, La normalisation du langage technique, p.46.

2 Look at: R. Dubuc, Manuel pratique.., p.23-24.

3 مُحمّد عبد المُنعِم خفاجي، المُصطلحُ العِلميُّ في اللُّغة العربيّة، مجلّة الحضارة الإسلاميّة، ع.٥، المعهد الوطنيّ للتّعليم العالي للحضارة الإسلاميّة، وهران، نوفمبر ١٩٩٨، ص.١٠٠.

٢,٤,١ الطّور الثّاني ١٩٦٠-١٩٨٥

التأسيس التنظيريّ:

استفدنا من المرحلة السّابقة أنّ مؤسّسَ **المصطلحيّات الحديثة** ي. فيستر قد ترك التّخمينات النّظريّة إلى أوانها، لفائدة المنهجيّة التي مكّنته من اكتشاف الطّابع النّظاميّ للمصطلحات.

لكِن في مرحلةٍ مُتأخِّرة استتبع نتائجه التّطبيقيّة تّأسيسٌ تنظيريٌّ، إذ نجده يُولي فيه المصطلحيّات حظَّها من التّنظير السّاعي إلى حلِّ مشاكِل التّبليغ اللُّغويّ بالدّرجة الأولى[١]، بل سجّلت تَوصِية مُنظَّمة **ISO**[٢] رَقم: ١٠٨٧ (١٩٩٠) بناءً عليه تعريفَها **المُصطلحِيَّات** باعتِبارها مَادَّةً عِلميَّةً بالحدِّ الآتي:

«المُصطلحيَّاتُ دِراسةٌ عِلميَّة لِلمفاهيم والمُصطلحات المُستعمَلَة في لُغات الاختِصاصات»[٣].

وحدث ذلِك ضِمن نشاطه التّأليفيّ حيث ينشر إلى جانب أعمالٍ تطبيقيّة أخرى مؤلّفاته التي تُعنى بالجوانب النّظريّة البحتة[٤]. إذْ يُتوسَّم في ماضي أعماله مادَّةٌ

---

1 Look at: Maria Teresa Cabré, La terminologie : Théorie, méthode et application.., p.30.

2 ISO أي المنظّمة الدّوليّة للتّقييس، الّتي تصدر عنها اللّجنة التّقنيّة رقم: ٣٧ الكائنة بجنيف عددا من التّوصيّات الرّامية إلى إرساء مبادئ توحيد المفاهيم العلميّة، والمصطلحات اللّغويّة على النّطاق العالميّ. هذا المختصر (إيزوISO) هناك من ترجمه: المنظمة العالمية للتوحيد المعياري. يُنظر بعض من هذه التّوصيّات في مجلّة اللّسان العربيّ، ع.٢١، ١٩٨٢، ص.١٧، وع.٢٢، ١٩٨٣، توصية: ١٠٨٧، ص.٢٠١ - ٢١٣.

3 نَقلاً عن: Pierre Lerat, Les langues spécialisées, Coll. Linguistique nouvelle, Ed. PUF, Paris, 1995, p.16. كذلك: ISO (1087) : Terminologie – Vocabulaire, Ed. Organisation internationale de terminologie,Genève, 1990, 17p.

4 فيما يخصّ مؤلّفات فيستر التّطبيقيّة لهذه المرحلة ينظر: E. Wüster, Dictionnaire multilingue de la machine – outil, 1968. ، وقد وضع فيه الأسس المنهجيّة الواضحة المُراعيّة للجوانب العمليّة في تدوين نتائج العمل في مجال المصطلحات. إذ اختبر تخصيص دليل لغويّ أُحاديّ الدّلالة والصُّورة (دالّ واحد لمفهوم واحد)، وهذا تحرّياً لاستقراره. سيأتي انتقاد ماريّا

غزيرةٌ كانت في حاجةٍ إلى التّنظيم: فقيل بذلك عن المرحلة الثّانية إنّها اتّصفَت بأكثر هيْكلةً وتطلّعًا إلى تدويل مسألة المصطلح وعنايةً بتوحيده وتنسيقه.

لكن قبل المضيِّ قدمًا في التّعرّف على أهمّ ما ميّز هذه المرحلة من الخصائص والأحداث، لنا عودة إلى إزاحة الشّكّ الّذي قد ينتاب البعضَ عندما لاحظنا أنّ فيستر سبقَ بالتّطبيق قبل التّنظير، ولهم الحقّ في الاستغراب بدعوى أنّه يُستبعد تقديم منهجيّة من مستوى منهجيّة ي. فيستر[1]، والسّير عليها بخطى حثيثة من غير الاستعانة بنظريّة صريحة، وبدون التّفكير في تطويرها والتّمحيص فيها، وذلك باعتماد التّنظير، علمًا بأنّ عدمه مستحيل بحجّة أنّ كلّ ممارسة في إطار منهجيّة ما تقتضي رديفها، أي التّنظير، باعتبارهما وجهين لقضيّة واحدة، فوجود أحدهما يستدعي الآخر، إلى جانب الموضوع والهدف، وكلّ هذه العناصر مجتمعة تشكّل العلم بمصراعيه النّظريّ والتّطبيقيّ.

لقد قصدنا تأجيلَ الجواب عن هذا الاستفسار، الذي طرح نفسه منذ البداية، إلى هذه المرحلة لعلاقته بها، ذلك أنّ فيستر لم يُضمِر التّنظيرَ إلاّ بالحدّ الذي

تيريزا كابري لهذا المطمح في ص.١٠٢- ١٠٥. أمّا مؤلّفاته التي عُنيت بالنّظريّة المصطلحيّة، نذكر مقاله الّذي نشره أوّل مرّة في مجلّة Linguistics الأمريكيّة تحت عنوان : " La théorie générale de la terminologie – Un domaine interdisciplinaire impliquant la linguistique, la logique, l'ontologie, l'informatique et les sciences des objets " ١٩٧٤. وأعيد نشرُه « Essais de définition de la terminologie », (Actes du colloque international de terminologie 5 au 8 octobre 1975 Québec), Ed. offiel, 1976, و" الأبعاد الأربعة للعمل المصطلحيّ " ١٩٦٩. وهو مؤلّف نشر بعد موته، سنة ١٩٧٩: " مدخل إلى النّظريّة العامّة للمصطلحيّات وصناعة المعجم المصطلحيّ " و " L'etude scientifique générale de la terminologie : Zone frontalière entre la linguistique, la logique, l'ontologie, l'informatique et les sciences des objets "، ويتكفّل بنشره بعد موته، سنة ١٩٨١ كلّ من " هلموت فيلبر Helmut Felber وج. روندو. وأشار ج. مونان إلى تُحفتِه في مَيدان التَّحليل المُصطلحيّ حيث درسَ حوالي ١٦٠٠ مَعجمٍ وهو Bibliographie of monolingual and technical glossaries, 1st ed, vol. 1 : National standards, UNESCO, 1955. يُنظر: ج. مونان، المَرجع السَّابق، ص.١٢٧.

1 لَقد عرضْنا شيْئًا مِن المَبادئ الّتي اعتمدتْها هذه المَنهجيَّة ضِمنَ نظريَّته الّتي عالجناها في الفصل الخاصّ باتِّجاهات المُصطلحيَّات المُختلِفة. يُنظَر: أسفله، ص.٨٧- ٨٩.

تصوّرناه آنفا، فهذا ما سيكشفه إعلانه عن اهتمامه بالنّظريّة ومنذ الأصول، عند افتتاح ندوة "مركز المعلومات الدّوليّ للمصطلحات"[1] **(INFOTERM)** سنة ١٩٧٥، إذ حاضر في الأصول الشّرعيّة للنّظريّة المصطلحيّة، فأشاد بفضل كلّ من:

١) **شلومان (A. Schlomann)**[2]: وهو مهندس ألمانيّ ينسب إليه مشروع إعداد المعجم الهندسيّ بستّ لغات مزوّدًا بالصّور، صدر ما بين عامي ١٩٠٦ و١٩٢٨، فنوّه فيستر بأهمّية هذا العالِم البالغة في إبراز الطّابع النّظاميّ الذي تتّسم به ألفاظُ الاختصاصات، وفي دعوته إلى إيجاد القواعد المنظّمة لوضع المصطلحات وتقنينها في مجال الهندسة خاصّة.

٢) **دي سوسير (F. De Saussure)** (١٨٥٧- ١٩١٣): اللّسانيّ السويسريّ المشهور الذي لفت الأنظار، وبطريقة علميّة، إلى نظاميّة اللّغة عامّة، وبما فيها المفردات.

٣) **دريسن (E. Dressen)**: الرّوسيّ الذي أسّس "الفدراليّة الدّوليّة للاتّحادات الوطنيّة للتّقييس **ISA**"[3]، فيعتبر بذلك أوّل من قدَّر أهمّية التّقييس،

---

1 تمّ تأسيس (INFOTERM) سنة ١٩٧١ بتعاون بين اليونسكو والحكومة النّمساويّة، ويتولّى إدارة المركز الأستاذ " هلموت فيلبر "، وهو متخصّص في المصطلحيّات بجامعة فيينا. ينظر: علي القاسميّ، المصطلحيّة (علم المصطلحات) النّظريّة العامّة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، اللّسان العربيّ، م.١٨، ج.١، ١٩٨٠، ص.٠٨.

2 هو المشرف على ذلك المعجم التّقنيّ الدّوليّ (Scholomann's illustrated technical)، وقد تعاون فريق من الخبراء المنتمين إلى عدّة دول أوربيّة من أجل إصدار من هذا العمل الرّائد في هذا الميدان ١٦ مجلّدا، تضمّ مصطلحات في ستّ لغات، يتراوح حجم كلّ منها بين ٤٠٠ و٦٠٠٠ صفحة، ولم ترتّب ألفبائيّا، وإنّما على أساس المفاهيم والعلاقات القائمة بينها بحيث أسهم تصنيف المفاهيم ذاته في توضيح مدلول المصطلح. ينظر : محمود فهمي حجازي، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح..، ص.١٧.

3 هذه التّرجمة لـ ISA استخدمها محمود فهمي حجازي، ينظر: المرجع نفسَه، ص.١٨. أمّا ترجمة علي القاسِميّ فهي " الاتّحاد العالميّ لجمعيّات المقاييس الوطنيّة "، ينظر: علي القاسميّ، المصطلحيّة (علم المصطلحات) النّظريّة العامّة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها..، ص.٨. وقد فضّلنا ترجمة م. ف. حجازي لحسن اختياره للمعمول به في مقابلة مصطلح: (Standardisation) المُترجَم بـ : التّقييس.

وذلك سنة ١٩٢٦.

٤) **هولمستروم (J. E. Holmstron)**: الإنجليزيّ الذي ما فتِئ يشجّع النّشرَ الدّوليّ للمصطلحات، وهذا انطلاقاً من اليونسكو، وكان يدعو إلى إنشاء هيئة دوليّة لتعنى بالمصطلحات[١].

فإنْ استمدّ ي. فيستر نظريّته المصطلحيّة من هذه الأصول، فالفضل يرجع في تطويرها خلال هذه المرحلة، إلى عنايته بالعلاقة الوطيدة التي تربط المصطلحيّات بالإعلام الآليّ وبتقنيّات التّوثيق[٢]، وهما يشكّلان ميزة هذا العصر[٣]. هنالك أخذت بنوك المعطيات ترى النّور، وتتنظّم المصطلحيّات في منظّمات عالميّة وأخرى ذات صبغة إقليميّة أو وطنيّة، واتّفق هذا بوضوح الأسس المصطلحيّة التي ينبغي على اللّغة أن تسير عليها في مجال التّوحيد المصطلحيّ[٤].

٣,٤,١ الطّور الثّالث: ١٩٨٥-٢٠٠٠

التخطيط المصطلحيّ والطّابع الاجتماعيّ والتداوليّ للمصطلحيّات:

على الرّغم مِن أنّ مُصطلح التّخطيط اللُّغويّ ظهر منذ عام ١٩٦٦[٥]، تختصّ هذه المرحلة بانبثاق المشاريع الكبرى ضمن التّخطيطات اللّغويّة الّتي حظيت فيها المصطلحيّات بنصيب وافر، كما تبيّن، من جهة أخرى، للهيآت الوصيّة ما للمصطلحات من دور فعّال في تحديث اللّغة، وكذا المجتمع الذي يستعملها[٦].

وشرعت فيها بذورُ العمل المعلوماتيّ المصطلحيّ تؤتي ثمارها مع التّطوّر الفائق

---

1 فتمّ عن جرّاء ذلك إنشاء (INFOTERM) الّذي أشرنا إليه في ص.٤٨.

2 تقنيّات التّوثيق (Techniques de documentation).

3 Look at: M. –T. Cabré, La terminologie : Théorie, méthode et application.., p.23.

4 ينظر: ليلى المسعودي، علم المصطلحات وبنوك المعطيات، اللّسان العربيّ، ع.٢٨، الرّباط، ١٩٨٧، ص.٨٥. وفي هذا المقال استعملت هي الأخرى مصطلحح "التّقييس" كمقابل لمصطلح (Standardisation) الذي أشرنا إليه أعلاه.

5 يُنظَر: أ. م. عُمر، العربيَّة الصَّحيحة، ط.٢، عالم الكُتُب، القاهرة، ١٩٩٨، ص.٥٨.

6 Look at: M. -T. Cabré, La terminologie : Théorie, méthode et application.., p.48-56.

السّرعة للمعلوميّات. فانعكس هذا على تحسين شروط العمل المصطلحيّ، ومعالجة المعطيات، وخزن المصطلحات التي تقرّها المؤسّسات المتخصّصة[1].

ثمّ إنّ للمصطلحات النّاجعة القدرة على توفير ضمانات الدّقّة والفاعليّة للمستعملين أثناء تواصلهم، ممّا زاد الدّول المتقدّمة وعيا بخطورة المصطلحيّات كعنصر أساسيّ في تطوير التّبليغ المتخصّص، وذلك في أوساط مهنيّة ورسمية وجامعيّة، لها من الأهمّيّة ما ليس هناك داعٍ إلى الشّكّ فيه[2]. فأسّست بالتّالي مراكز تُعنى بالمصطلحات[3]، وشكّلت لجاناً تقنية، بل أحيتها، يحدوها التّقييس المصطلحيّ على مستوى العلوم والتّقنيّات. كما تمّ التّفكير في تكوين اختصاصيّين في مجال المصطلحيّات تسند إليهم أدوار طلائعيّة، وذلك بما عاد المصطلحيّ يمتلكه من التّجهيزات والمصادر المكيّفة لمتطلّبات عمله[4].

أمّا من جانب التّعاون الدّوليّ الذي طفقت أهمّيته تتجسّد في خلق شبكات اتّصال ناجعة، فقد كان له بالٌ عظيمٌ في مجال المصطلحيّات[5]، إذ بادرت الأممُ في ظلّه إلى عقد اجتماعاتٍ تناقَش فيها المشاكلُ المصطلحيّة المشتركة، وتلك المشكلات النّوعيّة الخاضعة لخصوصيّات الشّعوب ثقافة، وجغرافيا، وتاريخاً[6] ...

---

1 ينظر: محمّد فهمي حجازي، بنوك المصطلحات العلميّة واللّغويّة، اللّسان العربيّ، ع.٣٥، الرّباط، ١٩٩١، ص.١٥٦.

2 ينظر: محمّد فهمي حجازي، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح..، ص.١٩٥.

3 مثل (INFOTERM) (المركز الدّوليّ للتّكوين في المصطلحيّات) و (AILA) (الجمعيّة الدّوليّة للّسانيّات التّطبيقيّة)، والبنوك المصطلحيّة مثل (EURODICAUTOM) ، وشبكات التّعاون بين دول ذات لغة مشتركة مثل (RINT) (الشّبكة الدّوليّة للمولّد والمصطلح)، وبرامج التّعاون في ميدان البحث والإعلام. ففي العالم الفرنكوفونيّ أوجد (LTT) (شبكة علم متن اللّغة والمصطلحيّات والتّرجمة) وكان يعرف قبل ١٩٩٣ بـ" جامعة الشّبكات الخاصّة بالنّاطقين باللّغة الفرنسيّة " ... الخ. ينظر: M. T. Cabré, Op. cit., p.57-58.

4 ينظر: مجموع الأعمال المنشورة في مجلّة: Terminologies nouvelles, (Diversité culturelle), n° 21, Rifal, AFCFB, Bruxelles, Juin 2000.

5 Look at: M. T. Cabré, Ibid., p.56

6 ينظر: محمّد فهمي حجازي، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح..، ص.٢١٢-٢١٣.

الخ. فصارت بذلك آية تحقيق هذا التّعاون المتبادل في أرضية الواقع تترجم بمدى كثافة المعلومات التي تتبادل بينها، وتُقاس بالمادّة العلمية التي يزوّد بها المصطلحيّون في إطار هذا التّعاون.

فعلى هذا المنوال المكرّس نجد مصطلحيّات الأمم المتقدّمة تخطّ طريقها نحو الأمام، ورائدها المصطلحيّ المكوَّن تكويناً حسناً، وهي محفوفة بسياسات لغويّة مرنة حيناً، وصارمة حيناً آخر، وهدفها خدمة المجتمع وتطوير العلوم.

غير أنّه إذا كانت المصطلحيّات الغربيّة ـ لاسيّما الأوربيّة منها ـ تهتمّ في هذا الطّور بدقائق الأمور وتنشُد التّقييس والتّنميط الدّوليّين، وذلك بفضل قِدمها، وتتطبع بالطّابع الإعلاميّ، فإنّ المصطلحيّات النّاشئة في أطراف أخرى من العالم كأفريقيا مثلا، لا تزال في عهودها الأولى مقبلة على محاولة تنظيم المعارف الأوّليّة، وترشيد أوجه استعمالات اللّغة من أجل التّواصل والتّثقيف، علماً أنّ ثقافاتها يغلب عليها الطّابع الشّفويّ على العموم[1].

لهذا وجدنا المصطلحيّات تعير مؤخّرا للتّنوّعات الثّقافيّة اهتماماً خاصّاً، بل جعلتها في مركز انشغالاتها[2]، وتبذل جهوداً واعدة من أجل إعادة الاعتبار للطّابع الاجتماعيّ للمصطلحات ليس فقط من أجل سدّ الفراغات التي كانت تعانيها نظراً لعدم تقصّيها فيما سبق لامتدادات اللّغة الجغرافيّة، بل أيضاً للإجحاف الذي عاناه هذا الطّابع بإسراف النّظريّة المصطلحيّة التّقليديّة[3] في معالجة قضايا التّوحيد المصطلحيّ دون إعادة الاهتمام لمدى التّنوّعات التي تكون قد طبعت أيّ لغة من تلك اللّغات الموسومة بالتّقنيّة والعلميّة كالإنجليزيّة والفرنسيّة...الخ، لا سيّما لمّا يتعلّق الأمر بالانتقال من إحداها إلى الأخرى.

---

1 Look at: Edena Atibakwa Baboya, Terminologie européenne et terminologie africaine : Eléments de comparaison.., p.32.

2 Look at: Marcel Diri-Kidiri, Terminologie et diversité culturelle.., p.27

3 ينظر: Rita Temmerman, Op. cit., p.58. حيث قارن بين النّظريّة التّقليديّة (Théorie traditionnelle) والنّظريّة الاجتماعيّة القدراتيّة (Théorie sociocoguitive)، ويقصد بالأولى نظريّة ي. فيستر. ينظر تفصيلٌ حولها أسفله، ص.٨٧- ٩٠.

فيطالب البعض بمنح مقام خاص للمصطلحيّات المتعلّقة بتلك الثّقافات[1]، فأصبح من الواضح أنّ هذه النّظرة الجديدة لم تكن لتوجد لولا ظهور التّداوليّة على السّاحة اللّسانيّة، وهي التي تناهض المصطلحيّات التي مالت كثيرًا فيما مَضى إلى المعياريّة، وبالقدر نفسه الذي آخذت به هذه الأخيرة على التّعالي[2] في تصوّر النّموذج التّواصليّ في ميدان العلوم والتّقنيّات.

كما يَرجع الأَمرُ في ذلِك إلى تمثُّل العالم العربيّ نسبيًّا لأَدوار **التَّخطيط اللُّغويِّ** الّذي أثمر كثيرًا لَدى الدُّول الغربيَّة. وقد تَرسَّخ في أذهان بَعض المُهتمِّين بقضايا اللُّغة العربيَّة ومُستقبلها مُنذ سنين، لكن حاجاته إلى الإمكانات الماديَّة والتَّنسيق عطَّلت تواجُده ميدانيًّا. وكان مِن المَفروض ألاَّ تَخفى أهميَّتُه على أيِّ لسانيٍّ جديرٍ بهذه التَّسميَّة. إلاَّ أنَّه مُؤخَّرًا نَسمع أصواتًا تُنادي بضرورة تَكثيف الجهود في هذا الاتِّجاه.

1 Look at: Edena Atibakwa Baboya, Ibid., p.32

2 (La transcendance)look at: M. -T. Cabré, Terminologie et linguistique : La théorie des portes, Terminologies nouvelles, n° 21.., p.13.

obeikandl.com